

د. عائض القرني

سنا بل وقنا بل

العبيكان
Obëkan

ح) مكتبة العبيكان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض بن عبدالله

سنابل وقنابل / عائض بن عبدالله القرني. - ط٢. - الرياض، ١٤٢٩هـ
٢٤٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٩-٤٤٨-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١. الوعظ والإرشاد

أ. العنوان

١٣٥١ / ١٤٢٩

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٣٥١ / ١٤٢٩

ردمك: ٩-٤٤٨-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

التوزيع: مكتبة العبيكان
Obikan

الرياض- العليا- تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ - ٤٦٥٤٤٢٤ / فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

الناشر العبيكان
Obikan للنشر

الرياض- شارع العليا العام- جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ - ٢٩٣٧٥٨١ / فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي» أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.



obeikandi.com

المحتوى

الصفحة

الموضوع

٩	مقدمة
١١	الإسلام والعالمية
١٤	شكراً للمنصفين
١٩	الضحك على الذقون
٢٣	خطاب النخبة
٢٦	فن الحياة
٢٩	القوة العادلة
٣٣	صح النوم يا عرب
٣٧	من قتل الحسين؟
٤٠	يا فخامة الرئيس
٤٣	نشرة الأخبار
٤٧	السلام في البلد الحرام
٥١	الخليجيون و سوق الأسهم
٥٥	العرب لا يقرؤون
٥٩	اشكر حسّادك!
٦٢	الكفاءة في النسب
٦٦	العفو العام
٧٠	هل يجوز بيع دم القتيل؟

- ٧٣ أنقذونا من سرطان العصبية القبلية
- ٧٦ هواة الفتوى يُغرقون السفينة
- ٨٠ أعوذ بالله من السياسة
- ٨٥ كفى تشويهاً للإسلام
- ٨٨ الوصفة السحرية للحياة الزوجية
- ٩٢ اختطاف المشروع الإسلامي
- ٩٥ الشيخ الشيطان وعلاج المرضى
- ٩٩ لا تقتلوا الطفولة
- ١٠٣ الإنسان المفترس!!
- ١٠٧ ضحايا الوهم
- ١١٠ صرخة فتاة
- ١١٣ وجه (الدربيل) إلى نفسك
- ١١٦ كن هايل ولا تكن قابيل
- ١٢٠ دعوة لتطبيع العلاقات
- ١٢٣ ابتسم
- ١٢٦ ضحايا التقليد الأعمى
- ١٢٨ الأرض بتتكلم أردو
- ١٣١ ودّع همومك
- ١٣٣ أين عشاق البيان؟
- ١٣٦ اللغة العربية في خطر
- ١٣٨ بشّروا ولا تنفّروا

- أوقد شمعة ولا تلعن الظلام ١٤١
- اخلع النظارات السوداء ١٤٤
- أكبر كذبة في التاريخ ١٤٧
- نقد التعليم الديني ١٥٠
- إذاعة القرآن في تونس ١٥٣
- أغلقوا محاكم التفتيش ١٥٦
- الإسلام السياسي في مأزق ١٥٩
- الفكر العربي بلا هوية ١٦٣
- أيام في جاكرتا ١٦٧
- أيتها العير إنكم لسارقون ١٧٠
- كفوا عن النياحة ١٧٣
- لقاء خادم الحرمين للبأبا ١٧٦
- يا مشعل المبتهج ١٧٩
- نحن العرب قساة جفأة ١٨٣
- امرأة تنادي، فهل من مجيب؟ ١٨٦
- أيام في طهران ١٨٩
- ثقافة الموت ١٩٢
- كارثة : (قَبِيلِي وَخَصِيرِي) ١٩٥
- لا تحزن يا مشعل السديري ١٩٩
- ما هي حقيقة العيد ٢٠٢
- وإنك لعلی خلق عظیم ٢٠٥

- الإرهاب الفكري ٢٠٨
- العمل أو الموت ٢١١
- الحج والنجاح الباهر ٢١٤
- مستعدون لحوار الأديان ٢١٨
- الملك عبدالعزيز قائد الثورة ٢٢١
- من هو الإرهابي؟ ٢٢٤
- يا عقلاء السنة والشيعة ٢٢٧
- شيوخ الفضائيات ٢٣٠
- إنصاف الغرب لا يعني اتباعه ٢٣٣
- النفاق الاجتماعي ٢٣٧



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه
ومن وآله، وبعد :

هذا كتاب (سنابل وقنابل) كل سنبله تحمل حباً وسلاماً
ومودة، وكل قنبلة تحمل رداً مفحماً، وجواباً مسكناً، وبرهاناً
ساطعاً، بل إن الحياة كلها سنابل وقنابل، فهي سلمٌ وحرب، وحب
وبغض، وخوف ورجاء، وسرور وحزن، من هنا كانت فكرة (سنابل
وقنابل)، وقد حرصتُ في هذا الكتاب على قصد الحق وبيان
الدليل وكشف اللبس وإسداء النصح، الآية مع الحديث، والقصة
بجانب القصيدة، والطرفة ترافق المثل. وهي مقالات كنت قد
نشرتها في جريدة الشرق الأوسط الدولية.

د. عائض بن عبد الله القرني



obeikandi.com

الإسلام والعالية

الإسلام عالمي من أول وهلة ﴿مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ولا بد لحملته ودعاته من الإيمان بفكرة عالمية الإسلام، وبالتالي يحرصون على جمال صورته وتقديمه للعالم في أبهى حلة، بحيث يكون إسلاماً محبوباً مقبولاً، إن الإسلام المشوّه الذي قدمه البعض ليس هو الإسلام الجميل الذي أتى به محمد بن عبدالله ﷺ، إن إسلامنا دين سلام كما يدل عليه اسمه، ودين أمن ودين عدل ودين تسامح لا ظلم فيه ولا قهر ولا عدوان ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

فكيف نقنع العالم بعدالة قضيتنا وسماحة دعوتنا، إذا قدمنا لهم إسلاماً حاداً متشنجاً يهدد أمن الناس وحياتهم، لا بد من أن يعي العالم أن هذا الدين رحمة للإنسانية، يدعو إلى حياة آمنة للجميع فيها تعارف وتجاوز وتواصل، ولهذا رحبت أمم الأرض بالإسلام من أول يوم، ودخل الناس فيه أفواجا؛ لأنهم وجدوا فيه السلام لأنفسهم، والأمن لحياتهم، والبناء لمستقبلهم، رحب به بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، ومحمد الفاتح التركي، ونور الدين التركماني، وصالح الدين الأيوبي الكردي، ومحمد إقبال الهندي، ومحمد علي كلاي الأمريكي، فمن يريد أن يحافظ على صورة الإسلام الجميلة فليحافظ على مقوماته التي بُعث بها الرسول الكريم ﷺ، ومنها التعارف والتواصل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ

ذَكَرُ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴿١﴾ ومنها فتح الحوار والإقناع ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿٢﴾ ومنها عدم الإكراه والقهر بل الحجة والدليل ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ﴿٣﴾ ومنها الاعتراف بإنسانية الإنسان وحقه في الحياة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ﴿٤﴾.

وإن تقديم الإسلام بصورة مشوهة لهو معضلة كبرى قام بها الجهلة من الغلاة أو الجفاة، وهؤلاء كانوا سبباً في صد الناس عن الإسلام، واتهامه ظلماً وعدواناً بأبشع الأوصاف كما قال المفكر محمد الغزالي: الإسلام قضية عادلة لكن المحامي فاشل، إذاً فنحن بحاجة لمحامٍ عن الإسلام عاقل رشيد، وبحاجة لمدعٍ عام حكيم ذكي، أما الأغبياء والحمقى فيحتاجون إلى حجرٍ صحي لمداواتهم، حتى يشفيهم الله من أمراضهم النفسية والفكرية.

ألا يسأل الإنسان نفسه ما سرُّ انتشار الإسلام في عشرات السنوات من سور الصين العظيم شرقاً إلى نهر الراين غرباً؟ أليس هذا دليلاً على عالميته وسماحته وجاذبيته؟ إن دول آسيا التي أسلم شعوبها لم يدخلها مقاتل مسلم ولا دبابة ولا صاروخ إنما دخلها تجار صالحون دعوا إلى الإسلام بأخلاقهم وتواضعهم وعدلهم فاستجاب لهم أهل تلك البلدان، إن مهمتنا كدعاة للإسلام أن نحرص على أن يدخل الناس الجنة بالإسلام ولو كانوا نصارى أو يهوداً أو بوذيين أو مجوساً، فقضيتنا معهم ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً

أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الرِّسُولَ - عليه الصلاة والسلام - لما أرسل أمير المؤمنين أبا الحسن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِقَتَالِ الْيَهُودِ فِي خَيْبَرَ قَالَ لَهُ: "ادْعُهُمْ إِلَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لَأَن يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ"، إِذْ نَاسَتْ الْمَهْمَةُ إِنْهَاءَ الْآخِرِ بَلْ إِنْقَاذَهُ مِنَ الضَّلَالِ، وَلَيْسَ الْمَطْلُوبُ بِتَعْجِيلِهِ إِلَى النَّارِ بَلْ إِدْخَالِهِ الْجَنَّةِ بِالْهَدَايَةِ.

إننا بحاجة إلى وقفة تأمل وتعقل أمام قوله ﷺ: "إنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" وأمام قوله: "بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا"، لن يستجيب لنا أحد حتى يضمن الأمن والسلام لنفسه ولستقبله، ولن ينصت لنا أحد حتى نحترم إنسانيته ونعطيه مكانته، الإسلام عالمي ولو أبى الرعاع، والإسلام رحمة ولو كره الغوغاء، والإسلام حياة ولو رفض الغلاة، عمر الإسلام أطول من أعمار المنتسبين إليه، وآفاقه أوسع من آفاق المقصرين عن فهمه، الإسلام جميل لكن لا يبصره أصحاب النظارات السوداء، قال المتنبّي:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُّرٍّ مَرِيضٍ

يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا



شكراً للمنصفين

حقُّ علينا أن نعتزُّ للآخر إذا أنصف وأحسن، وفي القرآن: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ وفي هذا اعتراف لبعض أهل الكتاب بأنه محسن، وقد وقع بعض مشاهير الغرب ونجومه شهادات صادقة في حق الإسلام ورسوله ﷺ، فهذا المؤرخ الفرنسي الشهير جوستاف لوبون يقول: ما عرف العالم فاتحاً أعدل ولا أرحم من محمد ﷺ، وهذه الشهادة زادت من قيمة هذا المؤرخ عند أهل الشرق من المسلمين، وشكره عليها العقلاء، وفي ديننا إنصاف لمن خالفنا إذا أجاد في باب من الأبواب، ففي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: "لا تقوم الساعة إلا والروم أكثر الناس"، والروم أجداد الأوروبيين والأمريكان فعلق على الحديث عمرو بن العاص بقوله: إنهم أمنع الناس لظلم الملوك، أي إنهم يعدلون فيما بينهم ولا يقرون الظلم في مجتمعاتهم، ولهذا كان كل عاقل شريف يحترم علمه وقلمه ينصف من خالفه؛ فيستحق بذلك وسام التقدير كما فعله الكاتب الأمريكي مايكل هارث في كتابه (العظماء المائة)، وهؤلاء العظماء يقصد بهم عظماء الخليقة منذ آدم إلى الآن، ولك أن تتصور من كاتب أمريكي أن يجعل العظيم الأول في كتابه هو محمد ﷺ؛ لأنه قصد الحقيقة فأرضى ضميره وصان اسمه من الحيف والزور، وإنما أسوق

هذه الأمثلة ليستفيق من يوقع شهادات الزور ومن يصدر أحكاماً جائرة منا على غيرنا ومن الآخر علينا .

إن من بني جلدتنا من لا يرى في الغرب إلا الهمجية والتحلل والحياة المادية والاستعلاء بالقوة ونحو ذلك من المعايير والمثالب، حتى إنني سمعتُ أحد العرب ممن يقيم في بريطانيا عبر قناة فضائية يصب جام غضبه على المجتمع الغربي، ويصفه بأبشع الصفات، وتساءلتُ: فلماذا يقيم بين أظهرهم ويدرس في جامعاتهم، ويستفيد من الخدمة المجانية من مؤسساتهم، بل يلجأ البعض إليهم بحجة الفرار من القهر والكبت، ثم تُفاجأ وإذا هو يهجوهم صباح مساء، ولا يعترف لهم بحسنة واحدة، والقرآن يفرض هذا المسلك المشين من تزوير الشهادات والظلم في الأحكام حتى مع الأعداء: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ .

وأيضاً فعند الغرب ساسة وكتّاب وفلاسفة ظلّموا الإسلام ولم يعترفوا له بأي حسنة، فهو عندهم دين القهر وإلغاء الآخر وإقصاء المخالف والاستيلاء على مقدرات الغير، وهذا ظلم صارخ للإسلام، وكان الواجب على هؤلاء لو أرادوا الإنصاف أن يقرؤوا الإسلام بتجرد، وأن يحاكموه إلى المنطق والعقل، وأن يسلكوا مسلك أصحاب الضمير من مشاهيرهم كبرناردشو، والقائد نابليون والكسيس كارليل وغيرهم، والواجب علينا أيضاً

نحن أن نصفهم فيما أجادوا فيه من رقي مادي وتقدم صناعي واقتصادي ونحوه، ولو لم يكن عند الغرب إيجابيات في نواح كثيرة لما أقدم كثير من أبناء الشرق على اقتحام البحر هرباً إلى تلك البلاد، فمنهم من يفرق ومنهم من يخرج من البحر سالماً ليقول لسان حاله وهو يلتفت إلى وطنه الأم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ أحسنه هذه للغرب أم سيئته؟

إن الإجحاف في الحكم من الطرفين الشرق والغرب أوصلنا إلى حالة تأزم في العلاقة، وضيق في الأفق، وانسداد في طريق التواصل والتحاور فكيف يقبل المسلمون أفكار من يزعم أن الإسلام دين سيف وعدوان، وكيف يقبل الغرب من يقول منا: إنهم قطع من الأنعام ليس لهم أي خصلة حميدة، إن من يريد أن يلتقي مع الغير على مصالح مشتركة ويريد أيضاً أن يفهمه الآخر؛ فعليه أن يكون عادلاً منصفاً كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾.

وإن مصيبتنا مع من خالفنا أنه لا ينصفنا فتجده يلغي كل حسنة لدينا ويشطب على كل فضيلة لتاريخنا وبعدها يريد منا أن ننصفه!! وأيضاً يقابل هذا طائفة منا تنظر لمن خالفها بنظرات سوداء ترى الدنيا كلها سواداً في سواد، والمنصفون حتى في مجتمعنا قليلون، وهم من يستحق الشكر والثناء الجزيل، وكثير من الناس من تحمله روح الانتقام على إصدار الأحكام الجائرة

في حق من خالفه ولو كان معه في دائرة الإسلام، فتجد لافتات التكفير والتفسيق والتبديع ويوحى لك بحكمه الظالم أن الجنة له ومن وافقه فحسب ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ وإنني أقول دائماً: الحمد لله الذي جعل مفاتيح الجنة عنده ولو كانت عند بعض الناس لما أدخل إلا من وافقه على رأيه ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾.

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بجلد رجل شرب الخمر فقال بعض الصحابة عن الشارب: لعنه الله، فأنكر عليه الرسول ﷺ قوله وقال له: لا تقل ذلك فإنه يجب الله ورسوله. فانظر لهذا الإنصاف لرجل اشتهر عنه كثرة شرب المسكر؛ لأن في الحديث أنه أتى به مراراً ومع هذا فقد بين الرسول الكريم ﷺ أن هذا الرجل يحمل حب الله وحب رسوله، فلا يجوز أن يلعن، إنني لا أفسر عدم إنصاف الأشخاص أو الدول أو الشعوب أو الأفكار إلا بضيق الأفق، وركاكة العقل، ونقص العلم وضحالة الثقافة:

والذي نفسه بغير جمال

لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

إن صاحب الكتاب الواحد والفن الواحد الذي لم يسمح لنفسه بالاطلاع والسماع والحوار لا يحق له أن يتصدر الجموع

ليصدر أحكاماً في حق الآخرين، إذن يصير من الواجب على حملة الأقلام وصنّاع الحرف ورواد المعرفة أن يقتلوا القضية بحثاً، وأن يستولوا على المسألة دراسةً واطلاعاً حتى يصلوا إلى الرسوخ العلمي: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ وحتى ينالوا اليقين المعرفي ويخرجوا من دائرة الوهم والظن: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾، شكراً للمنصفين منا ومن غيرنا، وشكراً لأخينا وصديقنا أبي الطيب المتبّي حيث يقول:

وَلَمْ تَزَلْ قَلَّةُ الْإِنصَافِ قَاطِعَةً
بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ



الضحك على الذقون

كثرة عدد السكان مع الجودة فضيلة عند الأمم، لكن الخطأ أن يكثر العدد بلا نفع ولا إنتاج، والإسلام يحث على طلب الذرية الطيبة الصالحة، ولكن إذا تحولت كثرة النسل إلى عبء اجتماعي صار هذا خطأ في التقدير، ونحن في الشرق أكثر الأمم نمواً سكانياً مع ضعف في التربية والتعليم، فقد تجد عند الواحد عشرين ابناً لكنه أهمل تأديبهم وتعليمهم فصار سهرهم في دبكة شعبية مع لعب البلوت وأكل الفصص بلا إنتاج ولا عمل، بل صاروا حملاً ثقيلاً على الصرف الصحي والطرق والمطارات والمستشفيات، بينما الخواجة ينجب طفلين فيعتني بهما فيخرج أحدهما طبيباً عالمياً والآخر يهبط بمركبته على المريخ، وأنا ضد جلد الذات؛ لكن ما دام الخطأ يتكرر والعلاج يستعصي فالبيان واجب.

ما زال بعض العرب يرفع عقيرته عبر الشاشات ويقول: أنا ابن جلا وطلاع الثنايا، ثم تجده في علم الشرع لا يحفظ آية الكرسي، وفي علم الدنيا لم يسمع بابن خلدون وابن رشد، وتجد الغربي ساكتاً قابلاً في مصنعه أو معمله يبحث وينتج ويخترع ويبدع، أرجو من شبابنا أن يقرأوا قصة أستاذ ثورة اليابان الصناعية "تاكيو أوساهيرا" وهي موجودة في كتاب (كيف

أصبحوا عظماء؟) كيف كان طالباً صغيراً ذهب للدراسة في ألمانيا، فكان ينسلّ إلى ورشة قريبة فيخدم فيها خمس عشرة ساعة على وجبة واحدة، فلما اكتشف كيف يدار المحرك وأخبر الأمة اليابانية بذلك استقبله عند عودته إلى المطار إمبراطور اليابان، فلما أدار المحرك وسمع الإمبراطور هدير المحرك قال: هذه أحسن موسيقى سمعتها في حياتي، وطالب عربي في المتوسطة سأل الأستاذ: الكتاب لسيبويه مَنْ أَلْفَهُ؟ قال الطالب: الله ورسوله أعلم، والتمدد في الأجسام على حساب العقول مأساة، والافتخار بالآباء مع العجز منقصة.

لن يعترف بنا أحد حتى نعمل وننتج فالمجد مغالبة والسوق مناهبة، وإن النجاح قطرات من الآهات والزفرات والعرق والجهد، والفشل زخّات من الإحباط والنوم والتسويق، كن ناجحاً ثم لا تبالِ بمن نقد أو جرّح أو تهكم، إذا رأيت الناس يرمونك بأقواس النقد فاعلم أنك وصلت بلاط المجد وأن مدفعية الشرف تطلق لك إحدى وعشرين طلقة احتفاء بقدمك، ويعجبني قول صديقنا وزميلنا أبي الطيب:

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ فَطْنٍ

لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالُ

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ

الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

لقد هجر الكثير منّا الكتاب وأصبح يعيش الأمية فلا يحفظ آيةً ولا حديثاً ولا بيتاً، ولم يقرأ كتاباً ولم يطالع قصة ولا رواية، ولكنه علّق في مجلس بيته شجرة الأنساب؛ ليثبت لنا أنه من أسرة آل مفلس من قبيلة الجهلة، والوحي ينادي ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، والتاريخ يخبرك أن بلالاً مولى حبشي وهو مؤذن الإسلام الأول وأن جوهر الصقلي فاتح مصر وباني الأزهر بربري أمه تبيع الجرجير في مدينة سبته، ولكن النفس الوثابة العظيمة لا تعتمد على عظام الموتى؛ لأن العصامي يشرف قبيلته وأمته وشعبه ولا ينتظر أن يشرفه الناس.

لقد كان نابليون شاباً فقيراً لكنه جدّ واجتهد حتى أخذ التاج من لويس الرابع عشر، وفتح المشرق وصار في التاريخ أسطورة، وهو القائل: الحرب تحتاج إلى ثلاثة: المال ثم المال ثم المال، والمجد يحتاج إلى ثلاثة: العمل ثم العمل ثم العمل.

لقد أرضينا غرورنا بمدح أنفسنا حتى سكر القلب بخمر المديح على مذهب جرير: أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا؟ وقد ركب الآخر بساط الريح وإف ١٦ والكانكورد، ولو اجتمعنا ما أنتجنا سيارة فلوكس واجن فضلاً عن كراسيدا، ورحم الله امرأ عرف تقصيره فأصلح من نفسه، ولا بد من أن تقنع المريض بمرضه حتى يستطيع أن يعالج نفسه، على أني أعترف أن عندنا عباقرة ونوابغ يحتاجون مراكز للبحوث ومؤسسات لرعايتهم ومعامل

ومصانع لاستقبال نتاجهم، لقد تركت اليابان الحرب وتابت إلى الله من القتال وتوجهت للعمل والإنتاج فصارت آيةً للسائلين. سوف نفتخر إذا نظر الواحد منّا إلى سيارته وثلاجه وتلفازه وجواله فوجدها صناعةً محلية، وأرجو أن نقتصد في الأمسيات الشعرية فإن عشرة دواوين من الشعر لا تنتج صاعاً من شعير، يقول نزار قباني:

وطالعوا كتب التاريخ واقتنعوا

متى البنادق كانت تسكن الكتب؟

وعلينا أن نعيد ترميم أنفسنا بالإيمان والعمل وتهذيب عقولنا بالعلم والتفكر، وهذا جوهر رسالتنا الربانية الخالدة، وطريق ذلك المسجد والمكتبة والمصنع، والخطوة الأولى مكتبة منزلية على مذهب الخليفة الناصر الأندلسي يوم ألزم الناس بإنشاء مكتبة في كل منزل وقراءة يومية مركزة، وهذا خير من مجالس الغيبة والقييل والقال وقضاء الوقت بالهذيان ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.



خطاب النخبة

الشرائع السماوية خاطبت الجمهور بلغة قريبة سهلة، لكن المشكلة أن بعض الناس يصعب العبارة ويعقد المعلومة حتى لا يفهمه إلا نفرٌ يسير، فإذا تكلم تقعرّ وتشدّق، والبياض إذا كثر أصبح برصاً، وكان ينبغي على رجال العلم والثقافة وحملة الأقلام عموماً أن يتنزّلوا بخطابهم إلى جماهير الناس، ولا ينتهي عجبى من كبار المثقفين وهم يلوكون مصطلحات لا يعرفها إلا ابن رشد وجان جاك روسو وفولتير.

ولقد سمعتُ أحد المفكرين الفلاسفة الكبار وقد جاوز الثمانين في إحدى القنوات وهو يتكلّم بحذر وتكلّف وتتطع، ثم سعل ثم عطس ثم تشاءب ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر، يحدثنا عن الجوهر والعرض عند سقراط ونظرية الشك عند ديكارت بعبارات ملفّزة كأنها طلاسّم، فقلت في نفسي: من يفهم هذا الكلام؟ وبعض طلاب الجامعات العرب لا يعرف أسقراط صيني أم روسي أم من عمّال الفحم في ساحل العاج، وبقيتُ أشاهد هذا الفيلسوف وهو يعصر ذهنه ويقطّب جبينه؛ ليقول لنا: "إن المعرفة تنطلق من أطر المصطلحات وتنبثق من بوتقة العلم غير المتناهي لنجد فيها الأفكار الماضويّة والإيديولوجيات حسب ذهنية المتلقي المحايد" فقلت: الحمد لله على السلامة، ورجعتُ إلى نصوص الوحي وكلام الأنبياء وحكم العلماء فوجدتُ

السهولة والإشراق والوضوح، هل نحن بحاجة حتى نثبت للناس أننا مثقفون وفلاسفة أن نمطرهم بمصطلحات غريبة شائكة يُصاب منها السامع والقارئ بدوار ودواخ؟ لمن نتحدث إذا كان جمهورنا لا يفهم ما نقول ولا يعي ما نكتب؟

إن التصعيب والتعسير يجيده الكثير ولكن التيسير والتسهيل لا يجيده إلا القليل، وكلام بعض الفلاسفة كلحم جمل غث في إناء من ذهب على رأس جبل وعمر، فلا اللحم سمين يستحق أن يُحمل، ولا الجبل سهل يُرتقى فيه، ثم إن كثيراً من القضايا الفلسفية قد عفا عليها الزمن وجدت هناك مصطلحات علمية، فلماذا نخاطب القوم بخطاب أرسطاطاليس وجالينوس، ولقد قرأنا لأساطين العلم والأدب شعراً ونثراً كالشافعي والجاحظ وابن تيمية والمتنبي فوجدنا إشراق العبارة، ووضوح الفكرة وسهولة الجمل وعذوبة اللفظ، بل إن بعض الأدباء يعدُّ مقدمة ابن خلدون لوحات أدبية جميلة مع العلم أن تونبي المؤرخ الإنجليزي الشهير يقول: "ما أنتج عقل بشري كمقدمة ابن خلدون".

إن بعض مثقفينا يحتاجون إلى دورات تدريبية مع كتب الجاحظ ولسان الدين الخطيب وابن الجوزي؛ ليخرجوا من عقدة التكلف والأحاجي والألغاز التي يمتطرونها بها صباح مساء وكأنها طلاس المنجمين، إن أكبر مثقف في عالم الأدب عند العرب هو الجاحظ ومع هذا فما زال كلامه عذباً سهلاً يذوب رقّة ويفيض إشراقاً ويشع جمالاً كما قال ابن الرومي في محبوبته:

وحديثُها السحرُ الحلال لو أنّها

لم تجن قتلَ المسلم المتحرّزِ

إن طال لم يُملل وإن هي أوجزت

ودَّ المحدثُ أنها لم توجز

سلام على من أحسن الخطاب وطالع بيان القرآن الأسر؛
ليعيش تلك الفصاحة الباهرة مع ظهور المعنى وحسن السياق
وجماليات التركيب، ولقد انبهر العلامة الزمخشري وهو أحد
أساطين البيان العربي من أسر وفخامة وحلاوة القرآن بل لقد
اندeshت قريش وهم رؤاد الفصاحة من هذا الكتاب الخالد،
وأعلن الجميع عجزهم عن معارضته ومجاراته، بل عجبت منه
الجن، وتواضع له الإنس، وسجد في محراب فصاحته العقل مع
العلم أن القرآن ميسر في فهمه، سهل في معرفة مقاصده بخلاف
كلام النخبة الذين وعروا مسلك الخطاب وصعبوا طريق الفهم
على المتلقي، فصارت كتبهم جثثاً هامدة لا روح فيها ولا حياة،
فصار يطبع من كل كتاب لهم ألف نسخة وباعوا منها ثلاثين نسخة
بعد التخفيض، كما قال أحد فلاسفة العصر: إن الفلاسفة تقول
كلاماً غير مفهوم إلى قوم لا يفهمون شيئاً، وبعض العباقرة يحسن
تسهيل العبارة وتيسير المعلومة ولكنه أحياناً يبتلى بلوثة فيصعب،
ولهذا لما قال أبو الطيب المتنبي يمدح عضد الدولة:

فَمَا يُسَمِّي كَفَنًا خُسْرَ مُسَمِّ

وَلَا يُكْنِي كَفَنًا خُسْرَ كَانِي

ضحك منه الأدباء.

فن الحياة

نوع ثقافتك، شكّل مواهبك، غاير بين حالتك في المعيشة، لأن
الرتابة مملة، والاستمرار سأم، ولذلك تنوعت العبادات من صلاة
وصيام، وزكاة وحج، وتنوعت الصلاة من قيام وقعود وركوع وسجود.
الزمن يتجدّد: ليل ونهار، وصيف وشتاء، حر وبرد، مطر وصحو.
المكان يتجدّد: جبل وسهل، رابية وهضبة، غابة وصحراء،
نهر وغدير.

الألوان تتجدّد: أبيض وأسود، أحمر وأصفر، أخضر وأزرق.
الحياة تتجدّد: فرح وحزن، محنة ومنحة، ولادة وموت، غنى
وفقر، سلم وحرب، رخاء وشدة.
كان المأمون ينتقل في بيته وهو يقرأ، وأنشد قول أبي
العتاهية:

لا يصلح النفس ما دامت مدبرة

إلاّ التنقل من حال إلى حال

اجعل وقتاً للتلاوة، ووقتاً للتفكير، وثالثاً للذكر، ورابعاً
للمحاسبة، وخامساً للمطالعة، وسادساً للنزهة، وهكذا وزّع
العمر فيما ينفع.

النفس نفورة، والطبيعة متقلبة، والمزاج يتضجر، فحاول أن
تكون مسافراً خريّثاً، وتاجراً صيرفياً، تأخذ من كل شيء أحسنه،
ومن كل فن أجمله.

إنَّ كدَّ النفس على طريقة واحدة، ونسج واحد، قتل لإشراقها وأشواقها، وإن أخذ الطبيعة بالصرامة المفرطة والجد الصارم انتحار لها.

ولكن ساعة وساعة، إن هناك بدائل من أعمال الخير، وأصول الفضائل، وسنن الهدى، يمكن للعبد أن ينتقل بين حقولها، ويراح بين جداولها.

ما أحسن الحديقة يوم تضم أشكال الزهور، وأنواع الفواكه، وسائر الأذواق والطعوم، وكذلك حالات النفس وأطوارها، لا بد من أن يكون عندها من سعة الأفق، ورحابة المعرفة، ووسائل الحياة، وصنوف الهيئات المباحة ما يسعدها.

وإنَّ كَبَّت النفس في مسارات ضيقة ورتابة باهتة ما أنزل الله به من سلطان يجعل النفس ذاوية منهكة محطمة: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾. والأجدر بالإنسان أن يضرب في كل غنيمة من أعمال الخير والبر بسهم:

يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ

وَإِنْ لَقَيْتُ مَعَدِيًّا فَعَدْنَانِي

فكن ذكياً في توزيع الوقت على أعمالك، واعلم أنك بعقلك المبدع وفكرك الخلاب تحول كوخك الضيق إلى قصر مشيد، وقد

تحول بإحباطك وتشاؤمك حديقتك الغناء إلى مقبرة؛ لأن السعادة
تتطلق من النفس وليس مما يحيط بالإنسان، فتجد العاقل لا
يأس لحياة الجسم فحسب بل يريد مُثلاً عُلّياً وأهدافاً سامية،
أما الجاهل فهمه مطعمه وملبسه كما قال صديقنا أبو الطيب:

ذو العَقلِ يَشقى في النَعيمِ بعَقلِهِ

وَأخو الجَهِالَةِ في الشَقَاوَةِ يَنعُمُ

الحياة جمالية متى نظرت إليها بأمل وحب واستثمار، والدنيا
سوداء كالحة متى نظرت إليها بنظارات سوداء كما قال إيليا أبو
ماضي:

أترى الشوك في الورود وتعمى

أن ترى فوقه الندى إكليلاً؟

إن قصيدة (أغنية الفجر) للشاعر العالمي (طاغور الهندي)
ملخصها أنه سأل الله أن يرزقه مالاً ليشتري دراجة تحمله إلى
السوق، ولكنه التفت فوجد رجلاً جالساً مبتور القدمين فصاح:
يا ربي شكراً شكراً ما أريد دراجة تكفيني قدماي.

لماذا لا نستثمر عيوننا الجميلة وأيدينا القوية وقلوبنا الحية في
صنع حياة كريمة؛ إنّ عندنا مواهب ربانية عظيمة لكن الكثير يعطلها
ولا يستثمرها فيعيش منكداً محروماً، فله الحمد على ما أنعم به.



القوة العادلة

الإسلام يأمر بالقوة العادلة لا الباغية الظالمة، يقول سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، ونهى عن الاعتداء بالقوة والظلم فقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، وأي حق في الأرض لا تحميه قوة إنما هو نهب مشاع، يقول أبو الطيب: لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى

حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

وقد قامت دولة الإسلام الأولى بالقوة العادلة فبسطت الأمن والسلام ونشرت الرحمة والعدل، وأنهت كيانات الظلم والاستبداد، وفي تاريخنا المعاصر قام الملك عبد العزيز آل سعود بمشروع الوحدة والتوحيد، وكنا قبل الوحدة خمس دول متناحرة متقاتلة وقبائل متصارعة متشاكسة فأنهى بالقوة العادلة السفك والسلب والنهب، ولو لم يقم بالقوة لما تمت الوحدة أبداً، وهذا جورج واشنطن وحّد الولايات المتحدة الأمريكية بقوة الحديد والنار وكذلك بسمارك في ألمانيا، وهذا مجمع عليه عند عقلاء العالم غير الموسوسين والحمقى، والغرب الآن يمد ذراعاً قوية يملك بها الجو والبحر والبرّ ولسان حاله يقول:

مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا

وَمَاءُ الْبَحْرِ نَمْلَأُهُ سَفِينَا

ولكن الغرب بالمقابل يريد منا نحن المسلمين أن نكون مهذبين مؤدبين سامعين طائعين حلوين طيبين متواضعين فإن سعينا إلى امتلاك القوة فنحن عندهم أشرار فجّار، وفرق بين القوة العادلة والإرهاب الممقوت الذي نرفضه بكل أشكاله وصوره، لكن أن نبقي ضعفاء منزوعي السلاح والدسم ليصدر بحقنا شهادة حسن سيرة وسلوك من أصحاب سجون قوائتنامو وأبي غريب ومجازر الفلوجة وبعقوبة وغيرها فهذا أمر ممجوج سمج، ثم هل عندنا عهد نطمئن إليه ونثق به من أصدقائنا وأعدائنا ألا يطلقوا علينا الرؤوس النووية لتصل من تلّ أبيب إلى الرياض مباشرة مع حسن النية طبعاً وحسن الجوار! لكن عن طريق الخطأ.

إن على السعودية وهي الدولة المحور في المنطقة أن تتنبّه ألف مرة لما يحصل، فرسالتها وموقعها وحجمها يوجب عليها أن تكون الأقوى، فهي في الدين قبلة، وفي الاقتصاد الأولى، وللرسالة المهد، وللعروبة العرين، لكن أخشى أن الثقة في الإخوان والجيران والفرس والرومان سوف تثمر واقعاً مريراً وتاريخاً مختلفاً، والأيام قادمة، والغيب مستور، وعلينا أن نعدّ العدة بحماية مقدساتنا ورسالتنا وأمتنا، وأشكر صديقي الشاعر خلف بن هذال رضي الله عنه إذ يقول:

وإن دندنت طبله الحرَّاب دندنا

بآيات حقٍّ عليّ وبلال دندنها

ولي بيتان قلتُ فيهما :

كن أحمر العينِ إن المجدَ منتهبٌ

وكن فديتُك مغضوباً ومرهوباً

لم ينفع الشاةُ في الدنيا سكينتها

والليثُ ما ضره أن ليسَ محبوباً

ويجوز عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية أن تكون

الدولة قوية حتى ولو صارت نووية وإلا أصبحت مهلبية!! لن

يُحترم إلا القوي ولا يرحم في هذا العالم إلا الشجاع، حتى

القوي يحبه الله تعالى يقول الرسول ﷺ: "المؤمن القوي خير

وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف" وشكراً لشوقي القائل:

وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي

وَلَكِنْ تُوْخَذُ الدُّنْيَا غَلَابَا

إن الحُرُوز والتمائم لا تحمي الأوطان وإنما تحميه قوة

عادلة يحسب لها ألف حساب، إن المسلم الصادق لا يعتدي ولكنه

لا يرضى أن يُعتدى عليه، وإذا كان الأمريكيان والرومان وإيران

وأبناء بنقورون وموشى دايان يجهزون النووي في الأفران فلن

ينفعنا جماليات ناجي في (يا حبيبي رحم الله الهوى).

والحقيقة أنّا حرصنا كل الحرص على أن نكون مهذبين
 مؤدّبين ومحبوبين ولكن الغرب رفض ذلك، نقل ديل كارنيجي عن
 الرئيس الأمريكي إبراهيم لنكولن قوله: "إذا كنت قوياً احترامني
 الجميع، وإذا كنت ضعيفاً فلو نزلت الملائكة من السماء تشهد لي
 ما صدقني أحد".
 تحياتي للمؤمنين الأقوياء.



صح النوم يا عرب

في الحديث الصحيح: "ويل للعرب من شرٍ قد اقترب"، ولكن العرب في غفلة عما يُراد بهم، يعتقد العرب قمماً محفوظة التوصيات فإن وجهت لإسرائيل كان النص (يجب على إسرائيل أن تتسحب بدون قيد ولا شرط)، وإن كانت في الخليج كان النص (يجب على إيران أن تتسحب من جزيرة طنب الكبرى وطنب الصغرى وجزيرة أبي موسى)، لكن إسرائيل وإيران أذكى من أن تخادعا كما يخادع الصبيان، ويلعب عليهما كما يلعب على الولدان، فلذلك قام الآيات في طهران بتخزين النووي في الأفران، وقام الحاخامات أتباع موشى دايان بتجهيز المزود لوقت العدوان ﴿فَبَآئِيَ آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ونصيحتي أن يحوّل العرب تكاليف القمم ويصرفوها في مجتمعات سكنية للفقراء، أو ملاجئ للأيتام، أو حفر آبار للمساكين، أو يجمعوا هذه التكاليف الباهضة التي تُصرف في الفنادق والتشريفات والضيافات فيقيموا بها مفاعلاً نووياً ولو كان في ذلك عقوق للغرب وخروج عن طاعته (لكن ما باليد حيلة)، وأرجو من العرب التخفيف من حسن النية بالجيران والإخوان، فوالله لو حلف الآيات في إيران، بين الركن والمقام في رمضان على القرآن في ساعة الاستجابة إن قصدهم بالمفاعل

النووي كمبوديا والخمير الحمر لما صدقهم عاقل، وليت العرب
سمعوا صديقي الشاعر خلف بن هذال:

ولا تامن فروخ الداب لو عاشن وابوهن مات

تجيك الصبح بانياب تناسل كنها انيابه

وإلى متى نصدق عواطفنا المجنحة، فجمال عبد الناصر
وعدنا أنه سوف يرمي إسرائيل في البحر ثم سلم لهم سيناء
وسجن علماء وطنه ثم شنقهم، وصدام حسين حلف أن يحرق
نصف إسرائيل بالكيماوي المزدوج فأحرق الكويت ونجت إسرائيل،
وأحمدي نجاد طلق بالثلاث أن يزيل إسرائيل من على الخارطة
وأخشى أن يزيلنا نحن وتبقى إسرائيل!!

أيها العرب: يسلم عليكم زهير ويقول:

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ

يُهْـدَمُ..... البيت

ويقول لكم أبو الطيب: صباح الخير يا عرب، صح النوم يا

إخوة، أما قرأتم أنشودة الكفاح لي:

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا

وَبِالنَّاسِ رَوَى رُمَحَهُ غَيْرَ رَاحِمٍ

فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ

ولا في الردى الجاري عليهم باثم

يقول عوام نجد: (يا زين الطير ولو بحلقي) يعني ما أحسن
السيف الحاد البتار ولو قطع حلقي، ويقول الشاعر الجنوبي
ابن عزيز: (جعل راس بلا ناموس تكسر عظامه) لن تنفعنا
العرضات الشعبية إذا التهب الجو وأظلمت السماء ﴿بِشَرِّ
كَالْقَصْرِ﴾ ٣٢ ﴿كَأَنَّهُ جَمَلَتْ صَفْرٌ﴾.

إن المواثيق والكتب لا تجدي مع قوة الآخر وسلاحه وفتكه،
يقول ستالين: (لا تحدثني كم عند البابا من كتاب، ولكن كم عنده
من دبابه) ذكر ذلك الداود في كتاب (متعة الحديث)، يقول نزار
قباي:

يا ابن الوليد ألا سيف تُؤجّرهُ

فإن أسيافنا قد أصبحت خشبا؟

ومن حقنا كمواطنين عرب أن نطلب من القيادات حمايتنا
والاستعداد للخطر القادم، وعلينا أن نتوب من حفلات الانتصار
ورفع أقواس النصر كما قال الدكتور غازي القصيبي عن الزعيم
المزعوم:

تمشي الهزيمة مشياً فوق منكبه

لكنه باحتفال النصر في شغل

أيها العرب: والله لو جدّ الجد وأرسلت عليكم الشهب من
خرم شهر وتل أبيب فلن تنفعكم الأسهم والبورصات والجلسات
والكبسات والأمسات والحفلات، ومن أنذر فقد أعذر. يقول

الدكتور سلمان العودة: (لقد استغرقنا حياتنا في جزئيات صغيرة قضينا فيها العمر على حساب قضايا مهمة ومسائل كبرى فتخلف بنا الركب).

ولعلمكم فقد اتجهت مركبة فضائية إلى كوكب عطارد ونحن مشغولون بالتراث الشعبي، وكلما نصحناهم قالوا: (اللي ما له قديم ما له جديد)، فهل قديمنا جفنة مكسّرة وأنية فخار بالية، ورشى حبال ممزّقة، وفأس ومنجل ومطرقة، فأصبحنا نخجل من العالم أن يشاهدوا وضعنا، يقول الدكتور أحمد التويجري:

إذا تفاخر بالأهرام منهزمٌ

فنحن أهرامنا سلمانُ أو عمرُ

أهرامنا شادها طه دعائمها

وحي من الله لا طين ولا حجرُ



من قتل الحسين؟

أنا سُنِّي حسيني، جعلتُ ترحمي على الحسين مكان أنيني،
أنا أحبُّ السَّبطين، وأتولَّى الشيخين، أنا أعلن صرخة الاحتجاج،
ضد ابن زياد والحجاج، يا أرض الظالمين ابلي ماءك، ويا ميادين
السَّفَّاحين اشربي دماءك، لعنة الله وملائكته والناس أجمعين
على من قتل الحسين أو رضي بذلك، ولكن لماذا ندفع الفاتورة
منذ قُتل الحسين إلى الآن من دمائنا ونسائنا وأبنائنا بحجة
أننا رضينا بقتل الحسين ونحن في أصلا بآبائنا وفي بطون
أمهاتنا؟! استباح ابن العلقمي بغداد بحجة الثأر للحسين، وذبح
البساسيري النساء والشيخوخ في العراق بحجة الثأر للحسين،
والآن تُهدَّم المساجد في العراق ويُقتل الأئمة وتُبقر بطون
الحوامل وتحرق الجثث ويُختطف الناس من بيوتهم وتُغتصب
العداري بحجة الثأر للحسين.

إن المنطق الذي يقول: إن مليار مسلم كلهم رضي بقتل الحسين
وكلهم ناصبوا العداء لأهل البيت منطق يخالف النقل والعقل
والتاريخ، ومعناه إلغاء أهل الإسلام والقضاء على كل موحد في
الأرض، هل من المقبول والمعقول أن يجتمع مئات الملايين من
العلماء والخلفاء والحكماء والزُّهاد والعُباد والمصلحين ويتواطؤوا
على الرضا بقتل الحسين والسكوت على هذه الجريمة الشنعاء؟!

لماذا لا يُحَكَّم العقل ويسأل نفسه من يمشي وراء السراب ويصدق الوهم ويؤمن بالخرافة؟ هل من المعقول أن تُحارب أمة الإسلام لأجل كذبة أعجمية صفوية ملفقة كاذبة خاطئة تكفر الصحابة والتابعين ودول الإسلام وتتبرأ من أبي بكر وعمر وأصحاب بدر وأهل بيعة الرضوان ومن نزل الوحي بتزكيتهم وأخبر الله أنه رضي عنهم؟ متى تكف المجزرة الظالمة الآثمة التي أقامها الصفويون ضد كل مسلم ومؤمن تحت مظلة الثأر للحسين؟ نحن أولى بالحسين ديناً وملةً، ونسباً وصهرًا، وحباً وولاءً، وأرضاً وبيتاً، وتاريخاً وجغرافياً، ارفعوا عنّا سيف العدوان، وأغمدوا عنّا خنجر الغدر فنحن الذين اكتوينَا بقتل الحسين، وأُصِيبنا في سويداء قلوبنا بمصرع الحسين:

جَاؤُوا بِرَأْسِكَ يَا ابْنَ بَنَاتِ مُحَمَّدٍ

مُتَزَمِّلًا بِدِمَائِهِ تَزْمِيلًا

وَيُكَبِّرُونَ بِأَنْ قُتِلْتَ وَإِنَّمَا

قَتَلُوا بِكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: قتل الحسين - رضي الله عنه - مصيبة من أعظم المصائب ينبغي لكل مسلم إذا ذكرها أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأقول: لو كرر عضو من أعضائنا الحسين أو أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم لتبرأنا من هذا العضو ولبترناه، لكننا نحبههم الحب الشرعي السنّي الصحيح الموافق

لهدي الرسول عليه الصلاة والسلام لا الحب الصفوي والسبئي
الغريب على الأمة وعلى الملة وعلى السماء وعلى الأرض:

مَرَحِباً يَا عِرَاقُ جِئْتُ أَغْنِي

كَ وَبَعْضُ مِنَ الْغِنَاءِ بَكَاءُ

فَجِرَاحُ الْحُسَيْنِ بَعْضُ جِرَاحِي

وَبِصْدَرِي مِنَ الْأَسَى كَرِبَاءُ

الحسين ليس بحاجة إلى مآتم وولائم تزيد الأمة هزائم إلى
هزائم، رحم الله السبطين الحسن والحسين، وجعل الله علياً
وفاطمة في الخالدين ورضي الله عن الشيخين.



يا فخامة الرئيس

على إسرائيل أن تطمئن ولا تخاف من مفاعلات إيران النووية فلن تكون إيران أغير من العرب على أرض العرب، ولن تكون أحرص على أرض الإسلام من سلالة المهاجرين والأنصار وما دام أن العرب عجزوا عن فتح بيت المقدس، فإيران أذكى من أن تورط نفسها في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل.

وبيت المقدس في التاريخ الإسلامي فتح مرتين على يد قائدین مسلمین عظیمین صالحین هما: عمر بن الخطاب وصالح الدين الأيوبي تجمعهما التقوى والزهد والعدل والشجاعة، ولن يفتح بيت المقدس إلا قائد تقي زاهد عادل شجاع، ولا يفتحه قائد جاء على دبابة الاستعمار فلا بد للفتح من نكاح لا سفاح وفي الحديث الصحيح: "الولد للفراش وللعاهر الحجر"، وغالب الرؤساء تولوا برتبة عريف فكان أول مرسوم له أن ترقى إلى رتبة فريق اقتباساً من الآية ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾. أما الجيوش العربية فغالبيتها متهيئة للانقلابات في بلادها، فكل دولة عربية في الغالب تتربص بجارتها وتتوعدّها بالويل والثبور، وعظائم الأمور، وغالب الشوارع العامة في الدول العربية مرفوع فيها أقواس النصر وصور القائد الرمز الملهم الضرورة، حتى إنني دخلتُ بلدًا عربيًّا وإذا صورة الرئيس القائد على الكباري

والجسور وعليه النياشين والنجوم وعيناه كعيني الصقر وهو
يشير بيده للجماهير كأنه ليث كاسر وتحت قدميه عبارات: سر
بنا إلى الأمام، يا حبيب الملايين، ويا نصير المستضعفين، مع
العلم أن ثلث الشعب من المشرّدين، والثلث من المسجونين، والثلث
يبيع الحلقوم والجوارب على طريق السالكين:

وحدويّون والبلاد شظايا

كل جزء من جسمها أجزاء

ناصريّون نصرهم أين ولى

يوم داست على الخدود الحذاء؟

ماركسيّون والجماهير جوعى

فلماذا لا يشبع الفقراء؟

والعرب مشغولون بذكرى أعياد كبرى مثل ثورة ٧ تموز،
يوم أكل الناس قشر الموز، وثورة ٩ كانون يوم ذاق الشعب النون
وما يعلمون، و ٥ آب يوم سفت الجماهير التراب، وهذه الثورة
المجيدة تمّت بمؤامرة لاغتيال الرئيس السابق في آخر الليل،
وبهذه الطريقة صار العرب نكرة في المحافل الدولية:

ولا يجوز الابتداء بالنكره

ومن أجاز ذاك فهو بقره

والعرب شجعان في الحروب الأهلية أو مع جيرانهم العرب،
ففتح وحماس، في كرب وباس، كل يحطّم رأس أخيه بالفاس،

وحزب الله وعدنا بنصر الله في القدس فإذا القتال في بيروت تحت شعار ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، والسودان يفور، من الخرطوم إلى دارفور، كأنه على دافور، وقادة الجهاد السبعة في أفغانستان تقاتلوا فيما بينهم وكل منهم مجاهد شهيد، وخصمه منافق رعديد، والسلاح العربي غالبه (خردة) انتهت صلاحيته؛ لأنه بيع في عهد برجنيف وبعضه من عهد ديغول، والجماهير تصفّق بمناسبة افتتاح مستوصف في قرية من القرى وفتح طريق مسفلت طوله ٣ كم، وكثيرٌ من الشباب عاطل عن العمل بعدما أكمل دراسته إلى رابعة ابتدائي ليلي من محو الأمية وأخذ كل شاب هراوة بيده

وهم يرقصون ويرددون: (الحسود في عينه عود)، وما أدري من هو هذا الحسود الغبي الذي حسد العرب ولم يحسد أهل الاختراعات والاكتشافات والذين احتلوا المريخ وعطارد بعدما احتلوا البحار والقفار، وأنزلوا حاملة الطائرات (إيزن هور) في مياه الخليج لتحمل مائة طائرة وكل مسمار من مساميرها كتمثال فخامة الرئيس، إذاً فعلى إسرائيل أن لا تخاف حتى يظهر مثل عمر وصلاح الدين؛ لأنه الماركة المسجلة والبضاعة لا بد أن تكون من شركة مكة الريانية النبوية، عليها دمغة: ﴿رَجُلٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ تربيوا في ﴿يُيْتَرِ أذنَ اللَّهِ أَن تُرْفَعَ﴾ وهم من كتيبة ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ العلامة الفارقة ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾، والأمة التي رزقت عادل إمام سترزق بإمام عادل.

نشرة الأخبار

كنتُ في صباي أعيشُ بقرية جميلة جنوب السعودية، تنام هذه القرية في سفح جبل أخضر، وكنتُ أستمع لهيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) صباح مساء، فكان يتردد على مسمعي اسم ماجد سرحان وهدى رشيد المدفعي وحسن الكرمي في برنامج (قول على قول) والذي كنتُ أسجله وأحفظ أكثر أبياته، والسياسة بين السائل والمجيب، وسماع أقوال القاردين والصندي تايمز والديلي مرر، وغيرها من الصحف البريطانية، فكانت مدرسة إعلامية رائعة.

فلما كبرنا ودلفت الفضائيات أمطرنا في العالم العربي بنشرة الأخبار الطويلة الثقيلة التي تحمل فصولاً وأبواباً، فيبدأ المذيع بالأخبار السياسية منذ وصول الضيف إلى أرض المطار وفتح باب الطائرة والنزول من السلم وعزف السلامين الوطنيين واستعراض حرس الشرف وتناول القهوة العربية وأحياناً (النسكافا) وفي المغرب العربي الشاهي الأخضر ثم مرافقة الضيف إلى المكان المعد، ثم الأخبار المحلية كافتتاح مدرسة ابتدائية ليلية لمحو الأمية وذكر فقرات الحفل والقصائد التي أُقيمت بهذه المناسبة العالمية وافتتاح سوق الخضرة في قرية، وترميم مستوصف أهلي بالبادية، ثم أخبار الرياضة وخروج المنتخب مبكراً من أرض الملعب مهزوماً

ثمانية صفر لرداءة الجو وهطول الأمطار، ثم سباق الخيل والهجن والمزاين، ثم حالة الطقس وحالة البحر والرياح والجبال والسهول والوديان وطلوع الشمس وكسوفها وخسوف القمر، ويُروى أن مذياعاً ضيَّع ورقة حالة البحر فارتجل من رأسه غيباً وقال: البحر هائق ومائق ويطيش على الناس أي هائج ومائج، ومذيع آخر كانت دولته في حالة حرب فترك النص أمام عينيه وارتجل من الحماس وقال: زمرة التشطير والانفصال قاتلهم الله أنى يُؤفكون، ومذيع آخر توفي ابن رئيس دولته في حادث سير فبكى المذيع في الأخبار وأخذ يقول: إلى جنة الخلد أيها الفقيد الشهيد، والمذيع العربي هو الوحيد الذي لا يستطيع الحياد حينما يقرأ الأخبار بل تغلبه عواطفه فتجده إذا خُفض سعر الغاز في بلده تهلل وجهه وتبسم وغمرته الفرحة، وإذا مات مدير مدرسة متقاعد بكى وغلبته دموعه.

ونشرة الأخبار غالباً تأتي بعد تناول طعام العشاء فتجد بعض المذيعين يتجشأ وهو يقرأ الخبر ويقول: عفواً عفواً، وبعضهم يشير بيديه وهو يقرأ الأخبار من شدة الحماس والانفعال كأنه يلقي قصيدة في سوق عكاظ، ويُروى أن أحد المذيعين فاتته الصيدلية المناوبة تلك الليلة فقال مرتجلاً: صيدلية العيدروس خلف الدوار العام أمام الجامع الكبير، ونشرة الأخبار في العالم العربي أطول نشرة في العالم مع العلم أنها في العالم الغربي بلد

الصناعة والإنتاج لا تأخذ إلا دقائق معدودة، وأنا أقترح أن توزع نشرة الأخبار على سائر اليوم حتى يخف على المشاهد متابعتها ولا يضيق صدره وتتطمس بصيرته من طولها، فحبذا أن تكون نشرة الأخبار السياسية بعد الظهر إلى قبيل العصر؛ ليتمكن الناس من الغداء والقبلولة وبعد العصر الأخبار المحلية، أما أخبار الرياضة فبعد صلاة المغرب وبعد العشاء حالة الطقس، ثم يُترك الناس لتناول طعام العشاء، ثم نشرة الصيدليات المناوبة وبهذا يأخذ المتلقي الكريم الأخبار على دفعات ويتناولها على جرعات ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ وإذا لم يُعمل بهذا الرأي فسوف تبقى التلفزيونات المحلية كما هو الحال مهجورة لا يشاهدها إلا من رزقه الله الصبر وسعة البال ليكفر الله عنه الخطايا بحلمه وسعة باله.

متى نعيش روح العمل والإنجاز على حساب القول والابتزاز؟
متى نودع الهديان والإسهال اللفظي والإسهاب الخطابي ونعيش المعرفة الصادقة والوضوح مع النفس ومع الناس؟ أربعون سنة ونشرة الأخبار في العالم العربي على وضعها الأول وبحالها، تحمل النشرة الخبر والبشرى والعزاء والمديح والهجوم المضاد ومعايشة التفاصيل اليومية التي تجري في كل شارع وقرية، قال: عبدالله البردوني:

وقاتلتُ دوننا الأبواقُ صامدةً

أما الرّجالُ فماتوا ثمَّ أوهربوا

وأطفأت شهب الميراج أنجمنا

وشمسنا وتحدت نارها الخطب

نحن أمة البيان فأين إيجاز وإعجاز القرآن، لقد سمع أعرابي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، فاندعش الأعرابي وصاح: الله أكبر في آية واحدة أمران ونهيان وبشارتان، كتب الرسول ﷺ إلى هرقل فقال: "أَسْلِمَ تَسْلَمَ"، وكتب سليمان إلى بلقيس: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، وكتب خالد إلى عياض بن غنم: (إِيَّاكَ أُرِيدُ)، قال راكان بن حثلين:

ما قلّ دل وكثرة الهرج نيشان

والهرج يكفي صامله عن كثيره

وقال الأول:

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم:

في العين فضل ولكن ناظر العين

الخميس ٢٠/١/١٤٢٨ هـ

جريدة الشرق الأوسط



السلام في البلد الحرام

في مهبط الوحي ومهد الرسالة، ظهرت من حماس وفتح
البسالة والأصالة، فقد جمعهم خادم الحرمين، ومؤلف الفريقين،
صاحب المواقف الرائدة، والهمم الخالدة، فتصافح الإخوان
وتعانق الأقران، وسالت دموع الصفاء عند الصفا، وحرّم القتال
في الشهر الحرام، والبلد الحرام، وحلّ السلام:
إِذَا احْتَرَبْتَ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا

تَذَكَّرْتَ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

ولقد شاهد العالم الإخوة الفلسطينيين من حماس وفتح
وهم يتعانقون في أطهر مكان في العالم، في الأرض التي بعثت
لل البشرية برسالة الرحمة والعدل والسلام، في الأرض التي حرم
فيها سفك الدم، وقتل النفس المعصومة، في الأرض التي أعلن
فيها ميثاق حقوق الإنسان ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

وقف قادة الشعب الفلسطيني شعب الصّبارين والجبارين:
الصبارين في الفتن والمحن، والجبارين على الأعداء الألداء، وقفوا
فوق الأرض التي وقف عليها سيد الخلق ﷺ؛ ليقول للعالم: "إن
دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في
شهركم هذا في بلدكم هذا".

شكراً لرجل السلام قائد الأمة، خادم الحرمين على غيرته
الإسلامية، ونخوته العربية، ورحمته الإنسانية، والذي أزعجه
مشهد الدم الفلسطيني وهو يسيل بسلاح فلسطيني، وشكراً
لقادة الشعب الفلسطيني حينما خافوا الرحمن، واحترموا
الزمان، ووقّروا المكان، واستجابوا للملك الإنسان:

لو تقاتلنا لخطّ الدم في

لوحة الصحراء يروّي حَبْنَا

لقد أغاظ الأعداء توقيع ميثاق الشرف والصلح العظيم بين
الأشقاء، وأرادوا أن يستمر القتال بين الإخوة، ولكن الله سلّم
وتوحّد الصف، وتصافحت الأرواح:

مُذْ بدأنا الشوط فردسنا الحصى

بالدم الغالي وجوهرنا الرمالُ

ومشينا نكتبُ المجدَ على

صوت حقٍّ من ترانيم بلالُ

لقد انتصر العقل على الحقد، والمنطق على الجهل، لقد
أثبت قادة هذا الشعب الباسل الأبى أنهم على مستوى المسؤولية
فقدّروا حرمة الشهر والمكان وأكرموا بالاستجابة صاحب الدعوة
الملك الشهم والقائد الإنسان، لقد خاب ظن إسرائيل في أن
شعب فلسطين سوف يتطاحن وينتحر بأيدي أبنائه، هاهم أحفاد
الفاحين تصافحوا وتعاهدوا على المحبة؛ ليكونوا صفّاً واحداً

ففي وجه إسرائيل الأكذوبة والكيان الزائل الساقط، لقد حيّا العالم كله هذا الصلح إلا إسرائيل، وفرح به كل عاقل إلا إسرائيل ولقد نال خادم الحرمين مرتبة الريادة العالمية في سبقه كما هي عادته في لمّ الشمل، وجمع الصف، وتوحيد الكلمة.

ما أجمل قادة الشعب الفلسطيني وهم يصلون في صف واحد بجوار الكعبة المشرفة، وحمّام الحرم يرفرف على رؤوسهم، حمّام السلام وكأن كلّ حمامة تقول لهم: حرام القتال يا أبطال، حرام الخلاف يا رجال، أنتم البواسل، أنتم الفدائيون الصادقون، أنتم صنّاع قصة التضحية:

من بحار الأسى وليل اليتامى

تطلع الآن زهرة بيضاء

من شحوب الخريف، من وجع الأرض

تلوح السناابل الخضراء

ويطّل الفداء شمساً علينا

ما عسانا نكون لولا الفداء

من جراح المناضلين وُلدنا

ومن الجرح تولد الكبرياء

لقد شخصت أبصار أطفال فلسطين وشيوخ فلسطين ونساء

فلسطين إلى مكة ينظرون بترقب لنتائج هذا اللقاء التاريخي:

نساء فلسطين تكحلن بالأسى

وفي بيت لحم قاصرات وقصر

وليمون يافا يابس في حقوله

وهل شجر في قبضة الظلم يثمر

الآن سحت دموع الفرح يوم انتصرت الإرادة الصادقة على

نوازع الشر، ويوم سادت المحبة على الكره، والحب على البغض،

والألفة على الفرقة:

أو يَخْتَلِفُ ماءُ الْوِصَالِ فَمَاؤُنَا

عَذْبٌ تَحْدَرُ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ

أَوْ يَفْتَرِقُ نَسَبٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا

دَيْنٌ أَقْمَنَاهُ مُقَامَ الْوَالِدِ



الخليجيون وسوق الأسهم

قام أبو معاذ السمرقندي خطيباً فقال: تعبْتُ من طول الطريق، حتى وصلت الخليج، فجمعتُ مالي، وقوت عيالي، وبعْتُ كل غالٍ ورخيص، وأقبلْتُ إقبال الحريص، في همة الفأر وعزم النيص، حتى والله لقد بعْتُ الفلَّة، وجمعتُ الغلَّة، ودفعتُ مالي كله، ووضعتَه في سوق الأسهم، مصدر كل بلاء وهمٍّ، وحزن وغمٍّ، ثم صاح باكياً وأنشد شاكياً:

نادى الهوامير على كل البشرُ فالكلُ فينا أيها الناسُ افتقرُ
بعْتُ لأجل الأسهم العماره وبيت أهلي وكذا السياره
وقد تدينتُ من البنوكِ مكتوبة في أوثق الصكوكِ
وقلت للزوجة والعيالِ سوف أكون اليوم راس مالي
وأسبق الوليد ثم الراجحي فقد دخلتُ سوق مال رابح
وفجأة أشهر سهمٌ أحمرُ مزمرٌ مخوفٌ مدمرُ
فذهب القنطارُ والقطميرُ فها أنا يا إخوتي فقيرُ

أما سمعتم ما فعله الهوامير؛ حيث حوّلوا كل غني إلى فقير، وردّوا المليونير، إلى نافخ كير، وأدخلوا مصيبة الأسهم على كل كبير وصغير، والواجب أن يُوقفوا للمحاسبة، ولا يضيع حق وراءه مطالبة، ويوضعوا تحت المراقبة، فقد أصيب الجميع بأعظم مصيبة، وحلّت بهم أزمة رهيبة، وقطع الأعناق، ولا قطع الأرزاق،

والدم المهرق، ولا الخسارة في الأسواق، وكما يحرم قتل النفس المعصومة، فإنه يحرم سلب الأموال المعلومة.

وإنها من أعظم المصائب، وأكبر العجائب، شعب كامل يمسي غنياً ويصبح فقيراً، فعامة الناس دُمِّرَ تدميراً، هموم وغموم، وسهوم وسموم، ديون مرهقة، وقروض مطبقة، منهم من وقع في ورطة، ثم مات بالجلطة، ومنهم من أصبح راتبه مرهوناً، ثم صار مسجوناً، وأحدهم باع سكن عياله، وبيت أطفاله، واقترض من إخوانه، وطلب الكفالة من جيرانه، وآخر باع البقر والأغنام، وبعدها بكى بكاء الأيتام، وكان الخليج قبل هذه النكبات، يعيش في أمنيات، فالكثير نظره في المؤشر، عسى أن يستمر الأخضر، ومنهم من ترك الدوام، وقال على الوظيفة السلام، والبعض مَنْ مَنَّى نفسه أمنية الصبي، بقصر في دبي، ونادى: يا خيل الله اركبي، فلما وقعت الكارثة، مات بعد هذه الحادثة، وسُئِلَ شيخ عن مساهمة العجوز، فقال يجوز، فمن حقها أن تجمع الكنوز، فحوّلت كل عجوز بيتها إلى ورشة، وجمعت دراهمها في بُقْشَة، بعدما باعت الأثاث، وَطَلَّقَتْ بالثلاث، لتعودنَّ إلى الصِّبا، ولو أبى مَنْ أبى، ولو أتى خاطب فمرحبا، فالمال يحوّل العجوز إلى صبيّه، وتصبح عبقرية بعدما كانت غبيّة:

تريد عجوز أن تعود فتية

وقديس الجنبان واحد وب الظهر

تسير إلى العطار تبغي شبابها

وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟

وبعضهم له في الأسهم فتاوى مضللة، وأقوال مهلهلة، ولا يخافون يوم الزلزلة:

ويفتي جاهلاً في كل فن

ولا يدري طحاه من دحاه

وغالب الشباب مع الطفرة، فتح الشفرة، وبسط السفرة، ووعد نفسه بالكنز والبنز والجَنز، ثم عاد يرفع العنز، ويبيع البز، ولا يجد الرز.

ومنهم من أمسى في ثروة قارون، وأصبح وقد ركبته الديون، ثم أصيب بالقولون، ثم سكن الناس في عشاش، بلا غطاء ولا فراش، ونسوا البورصة والكاش.

قال الدكتور هنري ماجري: يحتاج الأمر إلى قرار جري، لأن كل هامور، اندفع كالمخمور، فاجتاحوا أموال الفقراء، ونبذوهم بالعراء.

وقالت الأنسة كراكاتا هكَّا هكَّا -خبيرة الإفلاس في سوق الأسهم-: إن هذا من العجب، أن يتحول أهل الرتب، إلى باعة حطب.

قال الشاعر خلف بن هذال أمام خادم الحرمين الشريفين:

ابتلشنا بالهوامير والسوق اندمر
 انهبونا واركبونا الذلول بلا اشداد
 رموا اليابس بعد ما كلوا كل الخضر
 حاشوا الاموال بخياشهم حوش الجراد
 الخدع للاغبيا والضعوف من البشر
 ما درينا وش حصل بالصباح وبالهجاد
 عن علوم الغيب ما عندنا علم وخبر
 لو علمنا ما نزلنا لخانات الاحاد
 وعلى كل حال، فمن فاته الكنوز والأموال، فعليه أن يقول:
 «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا
 قوة إلا بالله» فإنها ترضي ذا الجلال، وتشرح البال، وتصلح
 الحال، وتُدفع بها الأهوال.
 قال شاعر اليمن الكبير الزبيري:
 خذوا كل دنياكم واتركوا
 فؤادي حراً طليقاً غريباً
 فإني أعظمكم ثروة
 وإن خلتُموني وحيداً سليماً



العرب لا يقرؤون

إذا ركبت مع أوروبي وجدته خانساً منغمساً يقرأ في كتاب، وإذا ركبت مع عربي وجدته يصبص كالذئب العاوي، أو كالعاشق الهاوي، يتعرف على الركاب، (ويسولف) مع الأصحاب والأحباب، بيننا وبين الكتاب عقدة نفسية، ونحن أمة (اقرأ)، ولكن ثقلت علينا المعرفة، وخف علينا القيل والقال، ولو سألت أكثر الشباب: ماذا قرأت اليوم؟ وكم صفحة طالعت؟ لوجدت الجواب: صفر مكعب، مع العلم أن غالب الشباب بطين سمين ثخين بدين، لأنه مجتهد في تناول الهميرغر والبيتزا وكلما وقعت عليه العين، ووصل إلى اليدين:

سلوا الصحون التباسي عن معالينا

واستشهد البَيضُ هل خاب الرجا فينا

كم (كبسة) شهدت أنا جحافلها

وكم خروفٍ نهشناه بأيدينا

يحتاج شبابنا إلى دورات تدريبية على القراءة، لأنهم ورّعوا الأوقات على السمر مع الشاشات، أو التّحلق على الكبسات، أو متابعة آخر الموضوعات، الإنسان بلا قراءة قزم صغير، والأمة بلا كتاب قطيع هائم، طالعت سيرَ العظماء العباقرة فإذا الصفة اللازمة للجميع مصاحبتهم للحرف، وهيامهم بالمعرفة وعشقهم

للعلم، حتى مات الجاحظ تحت كتبه، وتوفي مسلم صاحب الصحيح وهو يطالع كتاباً، وكان أبو الوفاء ابن عقيل يقرأ وهو يمشي، وقال ابن الجوزي: قرأت في شبابي عشرين ألف مجلد، وقال المتنبّي: وخير جليس في الزمان كتاب، سألت شاباً عن مؤلفي كتب مشهورة فجاءت الإجابات مضحكة، قال صاحب كتاب فن الخطابة: العظمة هي قراءة الكتب بفهم، وقال الروائي الروسي الشهير تولستوي: قراءة الكتب تداوي جراحات الزمن، وقال الطنطاوي: أنا من ستين سنة أقرأ كل يوم خمسين صفحة ألزمت نفسي بها:

جمال ذي الدار كانوا في الحياة وهم

بعد الممات جمال الكتب والسير
صح النوم يا شباب فقد انقضى العمر، وتصرّمت الساعات،
وقتل الزمان بالهذيان وأماني الشيطان وأخبار فلان وعلان،
استيقظوا يا أصحاب الهمم الهوامد، والعزائم الخوامد، والذهن
الجامد، والضمير الراقد:

وَلَوْ نَارِ نَفَخْتُ بِهَا أَضَاءَ

وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفَخُ فِي رَمَادٍ

قاتل الله التسوييف والإرجاف، وسحقاً لمن زرع شجرة ليت
لتثمر له سوف، وتخرج له لعلّ ليزوق الندامة:

وَمُسْتَتِ الْعَزَمَاتِ يُنْفِقُ عُمَرَهُ

حَيْرَانَ لَا ظَفَرٌ وَلَا إِخْفَاقُ

حيّا الله الهمم السماء، والعزيمة القعساء، التي جعلت أحمد ابن حنبل يطوف الدنيا ليجمع أربعين ألف حديث في المسند، وابن حجر يؤلف فتح الباري ثلاثين مجلداً، وابن عقيل الحنبلي يؤلف كتاب الفنون سبعمائة مجلد، وابن خلدون يسجل اسمه في عواصم الدنيا، وابن رشد يجمع المعارف الإنسانية:

لَوْلَا لَطَائِفُ صَنَعِ اللَّهِ مَا نَبَتَتْ

تِلْكَ الْمَكَارِمُ فِي لَحْمٍ وَلَا عَصَبٍ

وددتُ أن لنا يوماً في الأسبوع يخصص للقراءة، ويا ليتنا نبدأ بمشروع القراءة الحرّة النافعة عشر صفحات كل يوم تُقرأ بفهم من كتاب مفيد لنحصد في الشهر كتاباً وفي السنة اثني عشر كتاباً، ولتكن قراءة متنوعة فيما ينفع لتتضح أمامنا أبواب المعرفة وتتسع آفاقنا، وتُثار عقولنا.

فيا أمة (اقرأ) هيا إلى قراءة راشدة، واطلاع نافع، وثقافة حيّة، ومعرفة ربانية، وسوف تنتهي بكم التجارب إلى أن الكتاب خير جليس، وشكراً للأمير ابن صمادح حيث يقول:

وزهدني في الناس معرفتي بهم

وطول اختباري صاحباً بعد صاحب

فلم ترني الأيام خلأً تسرني
مباديه إلا ساءني في العواقبِ
ولا قلت أرجوه لكشف ملمة
من الدهر إلا كان إحدى المصائبِ
فليس معي إلا كتاب صحبته
يؤانسني في شرقها والمغربِ



اشكر حسّادك..!

النقد الموجّه إليك يساوي قيمتك تماماً، وإذا أصبحت لا تُنقد ولا تُحسد فأحسن الله عزاءك في حياتك؛ لأنك متى من زمن وأنت لا تدري، وإذا أصبحت يوماً ما ووجدت رسائل شتم وقصائد هجاء وخطابات قدح فاحمد الله فقد أصبحت شيئاً مذكوراً وصرت رقماً مهماً ينبغي التعامل معه، إن أعظم علامات النجاح هو كيل النقد جزافاً لك فمعناه أنك عملت أعمالاً عظيمة فيها أخطاء، أما إذا لم تُنقد ولم تُحسد فمعناه أنك صفر مكعب.

يقول صاحب كتاب (دع القلق): إن الناس لا يرفسون كلباً ميّتاً، ولكن أبا تمام سبق لهذا المعنى فسطره وعطره وحبره فقال:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ

طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ

يقول أحد الكتّاب: عليك أن تشكر حسّادك؛ لأنهم تبرعوا بدعاية مجانية نيابة عنك، وإذا وجدت هجوماً كاسحاً ضدك من أصدقائك الأعداء أو من أعدائك الأصدقاء فلا ترد عليهم بل سامحهم واستغفر لهم وزد في إنتاجك وتأليفك وبرامجك فإن هذه أعظم عقوبة لهم يقول زميلي أبو الطيب:

إِنِّي وَإِنْ لُتْ حَاسِدِي فَمَا

أُنْكِرُ أَنِّي عُقُوبَةُ لَهُمْ

إن نقد أعدائنا الأصدقاء يقوم اعوجاجنا الذي ربما أعمانا عنه مديح الجماهير وتصفيق المعجبين، يقول غوته: إن الدجاجة حينما تريد أن تبيض وتقول: قيط.. قيط تظن أنها سوف تبيض قمراً سياراً، فالعالم لكثرة ما يمدح يظن أن الله لطف بالخلق لمّا أوجده في هذا الزمن، والمسؤول إذا أُثني عليه بقصائد يحسب أن الملائكة في السماء تصفق له، إذاً فلا بد من وخزات نقدية؛ ليستيقظ العقل المبّنج بأبر أهل المدح الزائف الرخيص، يقول أحد الفلاسفة: إذا رُكِّلت من الخلف فاعلم أنك في المقدمة، إن التافهين ليس لهم نقاد ولا حسّاد؛ لأنهم كالجماد تماماً، وهل سمعت أحداً يهجو حجراً أو يسب طيناً؟! وتذكر أن الكسوف والخسوف للشمس والقمر أما سائر النجوم فلم تبلغ هذا الشرف.

يقول زهير:

مُحَسِّدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ

لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حُسِدُوا

ذكروا عن العقاد أن أحد الكتاب شكّا إليه تهجم الصحافة عليه فقال العقاد: اجمع لي كل المقالات التي هاجمتك فجمعها فقال له: رتبها وضع قدميك عليها فلما فعل قال له: لقد ارتفعت عن مستوى الأرض بمقدار هذا الهجوم ولو زادوا في نقدهم ل زاد ارتفاعك، يقول ابن الوزير:

وشكوت من ظلم الحسود ولن تجد

ذا سؤدد إلا أصيب بحسدٍ

إن أصدقاءك الأعداء وإن أعداءك الأصدقاء لم ينقموا عليك
لأنك سرقت أموالهم أو اغتصبت دورهم ولكنك فقتهم علماً أو
معرفة أو مالاً أو حققت نجاحاً باهراً فلا بد من أن يقتصوا
منك جزاءً وفاقاً لتصرفك الأرعن لأن الواجب عليك عندهم أن
تبقى تحتهم بدرجة، إذاً فلا تنتظر من حسّادك شهادات حسن
سيرة وسلوك ودعاء في السحر بل توقّع قصائد عصماء مقذعة
وخطباً نارية بشعة ومقامات أدبية مشوّهة.

والمشكلة أن صديقك الحاسد يرفض دستور المودة وأنت
تعرضها عليه ويبحث عن آخرين يصنع معهم الصداقات كما
قالت الشاعرة البارعة رضي الله عنها:

اللي يبيننا عيت النفس تبغيه

واللي نبي عيا البخت لا يجيبه



الكفاءة في النسب

من المعلوم في الشريعة الإسلامية أن الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط؛ لأنهم من أب واحد وأم واحدة، وإنما يفضل الفاضل منهم بتقوى الله وحده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وفي الحديث: "لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى" رواه أحمد، الناس لآدم وآدم من تراب، ولهذا من المقرر في الشرع تكافؤ الناس وتساويهم في أنسابهم، ولهذا عمل الصدر الأول من هذه الأمة بقاعدة تكافؤ الناس في أنسابهم، وفي الحديث: "يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه" رواه أبو داود وصححه ابن حجر.

وأبو هند كان حجاجاً وبنو بياضة أسرة من أسر الأنصار وهم أزدیون من أشرف العرب، وقد تزوج بلال بن رباح أخت عبدالرحمن بن عوف، وتزوج أسامة بن زيد فاطمة بنت قيس القرشية، ولكن لما بعد الناس عن الشرع وتعلقوا بأنسابهم القبلية وانتماءاتهم الأسرية رفض الكثير منهم هذا المبدأ، ووصل الحال إلى الإنكار والاستتلاف حتى إن من يقدم على التزوج من غير طبقته قد يخاطر بنفسه خاصة في المناطق القبلية والعشائر والبادية، فإذا وصل الحال بالإنسان إلى أن يصبح في خطر

من تزوجه من غير طبقته بحيث يتعرض للتهديد أو الضرر أو الإساءة إلى أسرته بالاستهزاء والسخرية والسب والأذى فإن درء المفسد مقدّم على جلب المصالح، وقد عرفنا قضايا لما اكتشف فيها البعض نسب الآخر وقد سبق أنه صاهره هـده بالقتل حتى أفتاه بعض العلماء بفراق زوجته، إذ أوشك أن ينشب بين الأسرتين قتال، والشرع لا يأمر بالمخاطرة إلى درجة أن تذهب النفس أو يسفك الدم، أيعيش الإنسان مرعوباً مهدداً لا يأمن على أسرته ونفسه من أجل تطبيق بعض الأفراد للشريعة ورأي أن تعم في الناس ثقافة المساواة والتكافؤ، ويبيّن لهم رأي الإسلام عن طريق العلماء والدعاة ووسائل الإعلام والتعليم، ويُحارب التمييز العنصري في المدارس والجامعات والخطب والندوات والمؤلفات، وينقل الناس تدريجياً إلى وعي راشد حتى يصبح لديهم العلم الكافي بهذه المسألة، حينها يصبح الأمر طبيعياً أن يتزوج الإنسان من غير طبقته في المجتمع المسلم، وقد حصل هذا في بعض الدول الإسلامية.

أما في المناطق التي ما زالت تفتخر بالأنساب والأحساب فرأيي أن لا يغامر الإنسان رجلاً أو امرأة بمشروع زواجه لما يترتب على ذلك من أضرار، وقد عشنا قضايا حصل فيها الفراق بعد أن اكتشف أحد الطرفين عدم تكافؤ النسب، على الرغم من أن بعض الأئمة الكبار على اشتراط الكفاءة في النسب، وهو

قول ضعيف لكن بعضهم نظر إلى ما قد يترتب على هذا الأمر من مفسد، وهذه المسائل الاجتماعية تُحل حلاً جماعياً من قبل الدولة والمجتمع بحيث يقتنع الجميع في الآخر بمساواة الإنسان للإنسان في نسبه بغض النظر عن لونه وطبقته وحرفته، ولهذا يقول ﷺ: "إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوّجوه"، ولم يذكر في الحديث النسب.

فعسى أن يتجه العلماء ورجال الإعلام والتعليم إلى بث الوعي بين الناس وتأسيس مبدأ المساواة الإنسانية، فإن الناس جميعاً خلُقوا أحراراً، كما قال عمر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، حتى إن الميثاق الدولي ينص على هذا، ففي إحدى مواد هيئة الأمم المتحدة ما نصه (الإنسان وُلد حراً ليس لأحد عليه رق)، ولكن من حكمة الشريعة الإسلامية أنها تراعي المصالح وتدفع المفسد، فإذا كبرت المفسدة وعظمت، وقلَّت المصلحة وصغُرَت دُفَعَت المفسدة الكبرى بترك المصلحة الصغرى، وحفظ الإنسان في نفسه وعرضه مقدم على تحصيل مصلحة تقرير زواجه من غير طبقته؛ ليقم بذلك قاعدة التكافؤ في النسب، وحلُّ ذلك حملة علمية ودعوية وثقافية تنادي بوحدة المجتمع، والتّام شمل أفرادهِ، ونحن لا نقول للإنسان أن يتحدى الصعاب ويخاطر بنفسه؛ ليحقق التكافؤ بالنسب بزواجه من غير طبقته، وما معنى قولنا له اصبر على القيام بمشروع الزواج

إلى آخر قطرة من دمك؟ نحن أيها الناس سواسية من أب وأم،
كلنا ذوو دم أحمر وليس فينا من له دم أزرق، فأبيضنا وأحمرنا
وأسودنا يعودون إلى مادة الطين الأولى التي خُلق منها آدم أبو
البشر ولا تفاضل بيننا إلا بتحقيق تقوى الله بالعلم النافع والعمل
الصالح ولي قصيدة:

ولا تحسب الأنساب تنجيك من لظى

ولو كنت من قيس وعبد مدانٍ

أبو لهب في النار وهو ابن هاشم

وسلمان في الفردوس من خرسانٍ



العفو العام

ينبغي للإنسان أن يصدر كل ليلة عفواً عاماً قبل النوم عن كل من أساء إليه طيلة النهار بكلمة أو مقالة أو غيبة أو شتم أو أي نوع من أنواع الأذى، وبهذه الطريقة سوف يكسب الإنسان الأمن الداخلي والاستقرار النفسي والعفو من الرحمن الرحيم، وطريقة العفو العام عن كل مسيء هي أفضل دواء في العالم يصرف من صيدلة الوحي ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، يا من أراد الحياة في أبهج صورها وأبهى حللها اغسل قلبك سبع مرات بالعفو وعفّره الثامنة بالغفران.

قام رجل يسبُّ أبا بكر الصديق ويقول: والله لأسبِّنَّ سباً يدخل معك قبرك، فقال أبو بكر: بل يدخل معك قبرك أنت، وسبَّ رجلُ الإمام الشعبي فقال الشعبي: إن كنتَ كاذباً فغفر الله لك، وإن كنتَ صادقاً فغفر الله لي، إن تحويل القلب إلى حيّات للضعيفة وعقارب للحقد وأفاعٍ للحسد أعظم دليل على ضعف الإيمان، وضحالة المروءة وسوء التقدير للأمور، وكما يقول شكسبير: لا توقد في صدرك فرناً لعدوك فتحترق فيه أنت، ما أطيب القلب الأبيض الزلال! ما أسعد صاحبه! ما أهنأ عيشه!

ما أُلذَّ نومُه! ما أظهر ضميره! ثم هل في هذا العمر القصير مساحة لتصفية الحسابات مع الخصوم، وتسديد فواتير العداوة مع المخالفين؟ إن العمر أقصر من ذلك، وإن الذي يذهب ليقْتَصَّ من كل من أساء إليه، وينتقم من كل من أخطأ عليه، سوف يعود بذهاب الأجر، وعظيم الوزر، وضيق الصدر، وكثرة الهم مع قرحة المعدة، وارتفاع الضغط، وقد يؤدي ذلك إلى جلطة مفاجئة، أو نزيف في الدماغ ينقل صاحبه مباشرة إلى العناية المركزة؛ ليضاف لقتلانا ممن مات في قسم الباطنية سريعاً للتخمة بعد أكلة شعبية قاتلة.

إن أفضل أطباء العالم هم ثلاثة: الدكتور بهجت وتخصصه السرور والفرح والعضو والصفح، والدكتور هادئ وتخصصه أخذ الأمور بهدوء والدفع بالتي هي أحسن، والدكتور (ريجيم) وتخصصه عمل (ريجيم) للجسم لمنعه من كل ضار ومن الإكثار من المشتبهات التي يدعو إليها الشيطان الرجيم.

أيها الناس: الحياة جميلة، ألا ترون النهار بوجهه المشرق وشمسه الساطعة وصباحه البهيج وأصيله الفاتن وغروبه الساحر، لماذا لا تشارك الكون بهجته فتضحك كما تضحك النجوم، وتتفاءل كما تتفاءل الطيور، وتترفق كما يترفق النسيم، وتتلطف كما يتلطف الطل، الحياة جميلة إذا أخرجتم منها

الشیطان والشر والشك والشتم والشتوم والشماتة وشارون،
والمشكلة أن بعضنا متشائم تريه وجه الشمس فيشكو حرّها،
وتخرج له الزهرة فيريك شوکها، وتشير إلى نجوم الليل فيمتعض
من ظلمته، إذاً أقترح عليك أن تصدر الليلة مرسوماً بالعفو عن
كل من أساء إليك وبعدها سوف تنام ليلة سعيدة لم يمر بك ليلة
أجمل منها كما قال صديقي الشريف الرضي:

يَا لَيْلَةَ الْعَفْوِ أَلَا عُدْتُ ثَانِيَةً؟

سَقَى زَمَانُكَ هَطَالًا مِنَ الدِّيمِ

هنيئاً للعافين عن الناس، قبلات على رؤوس الكاظمين
الغيظ، باقات ورد لمن سامح وأصلح، مع الشكر الجزيل للمقنع
الكندي حيث يقول:

وَلَا أَحْمِلُ الْحِقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ

وَلَيْسَ كَرِيمُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا

الإنسان السوي والمؤمن الراشد يكون منزوع الدسم من السم
عنده براءة اختراع لمكارم الأخلاق، مختوم على جبينه خاتم ﷺ
ومن عفا وأصلح فأجره على الله عز وجل، غفر الله لنا إساءتنا
للغير، وغفر الله لمن أساء إلينا وغداً نلتقي في الجنة إن شاء
الله تحت مظلة ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ
مُتَقَابِلِينَ ﴾، وقد قلتُ في قصيدتي (أنشودة الطفولة):

فيا أيها الإنسان هاك صداقة

أبرّ من الأم الرؤوم وأحبها

تعال نعيد الوصل عهداً مباركاً

وخذني أخاً إذ كان آدم لي أبا

إذا كنت قابيل العداوة والردي

فإني أنا هابيل رأياً ومذهباً



هل يجوز بيع دم القتيل..؟

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة العفو عن القاتل مقابل ملايين من الريالات قد تصل إلى العشرة أو أقل أو أكثر، وما أدري كيف تُسمى هذه الطريقة عفواً لوجه الله؟ إن الإسلام أوجب القصاص أو الدية أو العفو، فإما قصاص تذهب فيه النفس بالنفس؛ ليأمن المجتمع وتتكسر شوكة القتل وتُصان الدماء وتُحفظ الأنفس ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وإما دية محددة يأخذها ولي الدم ويتفق عليها من قبل الدولة ويرعى تحديدها ولي الأمر بما يراه العلماء مناسباً للعصر، وإما عفو لوجه الله لا يأخذ فيه ولي الدم قطميراً أو نقيراً بل له الأجر من الله وحده.

كيف نفهم العفو من ولي دم يقول: عفوت لوجه الله مقابل ٨ ملايين ريال وأربعة جيوب لكزس ٨ سلندر!! وآخر يقول: عفوت لوجه الله مقابل مخطط في شمال الرياض ودار سكنية في مكة ومزرعة للعيال!! فكيف يكون هذا من أهل العفو والصفح؟

وقد أشرفتُ على قضايا طلب بعضهم الستة والسبعة والثمانية ملايين وهو عند نفسه قد عفا لوجه الله وقد تفضل مشكوراً على القاتل وأهله، ومن أين يجمع ولي الدم هذا المبلغ الذي تعجز عنه القبيلة بأسرها؟ فيركبه همّ الدين وشماتة الشحاذة أمام

الناس، وهنا واجب الدولة التدخل السريع أمام هذا البيع العلني لدم القتل ومخالفة الشريعة لأن ولي الدم لم يأخذ بالقصاص ولا بالدية المحددة ولم يعفُ لوجه الله وإنما انتقل إلى المزداد العلني في بيع دم القتل، هل دماء المسلمين تُباع بهذا الرخص؟

إن قطرة من دم الإنسان أفضل من كنوز الدنيا، فلماذا نترك الحبل على الغارب أمام الجشع والطمع لأناس لما قُتل إخوانهم وأبناءؤهم أخذوها فرصة لجمع الملايين وأخذ المخططات والفل واشترطت سيارات المرسيدس مع تحديد الموديل والمواصفات، ولماذا يتدخل بعض الأعيان والتجار في غياب الدولة لبذل أموالهم وأحدهم لا يستحيي من الله وجاره يبيت جائعاً بجانبه، وآخر يرى الأطفال الأيتام يتسولون في الشوارع فلا يرفُ له جفن ولا تفيض منه دمة ولا تجود يده بريال، نحن إذاً أمام مشكلة اجتماعية كبرى غاب عنها المسؤولون والعلماء وهي: المزايدة في بيع دم القتل تحت مسمى العفو لوجه الله وهذا تضليل للمصطلحات الشرعية، وأعرف بعض القضايا باع فيها أهل القاتل دورهم ومزارعهم؛ ليدفعوها لولي الدم الذي عفا بزعمه لوجه الله، أي عفو يا أخي ورصيدك وصل العشرة ملايين ريال وبعض الأسر عجزت أن تجد ألف ريال تشتري به لحماً وخبزاً؟!

إذاً لنعد إلى الشريعة في القصاص أو الدية المعروفة أو العفو بلا مقابل ولترعى الدولة المسلمة هذه الأحكام التي فيها

صلاح العباد والبلاد، أما أن تترك الأمور لتخمينات الطامعين والجشعين الذين لا يعرف بعضهم نواقض الوضوء فهذا إهمال وتفريط، إن الشريعة عظيمة لأنها ربّانية ولهذا حدّدت المسارات في القصاص والدية والعفو وحثت على العفو والمسامحة، ولكنها لم تترك الأمر نهياً مشاعاً للقبائل والعشائر يحدّدونه هم بل أوجبت على ولي الأمر أن يرعى تنفيذ هذه الأوامر الشرعية، ثم أقول لمن يدعي أن في القصاص همجية: تَبَّتْ يَدُكَ وَسَحَقاً لَكَ، والله لقد رأينا الأمن استتب، والقاتل ارتدع، وعصابات الجريمة دُمِّرَتْ، وأمن الناس على دمائهم وأموالهم ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ولقد عادت بعض الدول الغربية الكبرى إلى مسألة إعدام القاتل؛ لأنهم وجدوا أن القتل انتشر وأنه لا يردع القتل إلا قتل النفس بالنفس، فسبحان الله الخالق الحكيم ما أعدله في خلقه وما أعلمه بما يصلح الدولة والأمة والمجتمع والفرد:

من بلادي يُشْرِقُ الحَقُّ وَلَا

يُشْرِقُ الحَقُّ مِنَ الْغَيْرِ الْغَبِيِّ

وبها مهبطٌ وحي الله بلُ

أرسل الله بها خيرَ نبي

قل: هو الرحمن آمنا به

واتبعنا هادياً من يشرب

أنقذونا من سرطان العصبية القبلية

يهدد مجتمعنا اليوم سرطان العصبية القبلية التي أصبحت تُثار بشكل بشع ممقوت، يقوم بذلك بعض الشعراء الشعبيين العوام تسانداهم بعض القنوات التي لا تفكر في العواقب، فأصبحنا نُمطر صباح مساء بقصائد هوجاء يمدح بها الشاعر قبيلته ويمجدها ويرفعها فوق النجوم وكأن هذه القبيلة صاحبة البطولات في بدر والقادسية واليرموك ويعرّض غيرها من القبائل، وإذا نظرت إلى هذا الشاعر وجدت تعليمه لا يتجاوز (خامس ليلي) من محو الأمية في يساره سيجارة يشعلها بسيجارة قد تفحّمت أسنانه واسودت شفتاه وأعفى شنبه حتى وصل أذنيه، ثم تقوَّس حتى كأنه قرنا خروف نيعمي، لماذا هذه الصرخات القبلية والعصبية الجاهلية؟ لماذا تُثار الآن بعدما وحدنا الإسلام ثم اجتمعنا تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول ﷺ؟ هل يؤمن هؤلاء حقاً بمبدأ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الله أعلم بما في قلوبهم. أنا أعرف أن الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، لكن أن نسلم ديننا ومبادئنا ووحدتنا واجتماع شملنا لبعض الشعراء الجهلة السفهاء وبعض القنوات التي لا تفكر إلا في الشهرة وابتزاز الأموال فهذا أمر خطير جد خطير، أنقذوا البلاد والمجتمع من سرطان العصبية القبلية ومن ربح

العنصرية الجاهلية، سمع الرسول ﷺ رجلين يفتخران بالقبيلة على حساب القبيلة الأخرى فقال: "دعوها فإنها منتنة".

من أشد الأمور حرمة أن نربي أجيالنا على النعرات الجاهلية، ومن أعظم المنكر أن نسعى في هدم كيان الدولة المسلمة بمعاول الهدم والتفرقة، عيب علينا أن نفرّق الصف بالفخر بالقبيلة والتعريض بالقبائل الأخرى.

إن الفاسد في حياته والمحبط في نفسه والذي يشعر بمركّب النقص يريد أن يعوّض ذلك بمدح قبيلته فحسب وإضفاء الثناء عليها وحدها وإهمال غيرها من القبائل، إن المجتمعات التي ما زالت القبائل فيها تكوّن بذور المجتمع كدول الخليج عموماً سوف تقع فريسة لهؤلاء الحمقى الذين سؤل لهم الشيطان تقديس القبيلة حتى إن بعضهم لا يحفظ له قصيدة في الثناء على الله عز وجل أو الدفاع عن رسوله المصطفى والمجتبى ﷺ أو الإشارة بالرسالة الخالدة، أو الدعوة لمكارم الأخلاق أو التنويه بالوحدة وجمع الكلمة، وإنما قصائده كلها نعرات جاهلية وعصبية قبلية فمثل هذا يُوقف عند حده ولو قالوا له: لا تلعب بالنار أيها السفية.

فمثلاً نحن في المملكة العربية السعودية جمعنا الله بفضله في كيان واحد ودولة واحدة فضلاً من الله ونعمة، وكنا قبل ننتقل وننتهاجى بأبشع السب وأقذع الشتم، حتى قامت القبائل ببناء حصون الحرب مع القبائل الأخرى، وما زالت بعض هذه

الحصون قائمة للعيان وأدعو إلى هدمها؛ لأنها تذكر بالإح
والعداوات والثأر، فلما تمت الوحدة واجتمع الشمل صار الشاء
على الكيان كله والمدح للمجتمع بأسره حتى استيقظ الشيطان
في رؤوس بعض الشعراء الأغبياء فقاموا بتقسيم البلاد في
قصائدهم وتشتيت الشمل في أبياتهم وعادوا إلى كهنوت
القبلية، ونسوا الدين والدولة وأغفلوا التوحيد والوحدة، ولو كان
عمر حياً لبطح الواحد منهم على بطنه وأدبه بالدرة حتى يخرج
وساوس الشيطان من رأسه، ماذا نفع أبا لهب الهاشمي القرشي
نسبه؟ وماذا ضرَّ بلال بن رباح المولى الأسود الحبشي نسبه؟
أيها الشعراء احترموا أنفسكم، ارفعوا رؤوسكم، طهروا ألسنتكم،
قبل أن تؤدِّبكم سياط الدولة ومن أنذر فقد أعذر، نحن أمة واحدة،
ربنا واحد، ورسولنا واحد، وديننا واحد، وقبلتنا واحدة، فلماذا
التفرقة والعنصرية والدعوة الجاهلية وبث بذور الفرقة والفتنة:

مجدنا ملحمة عنوانها :

نحن في بدرٍ قتلنا الوثنا

وطني لا وطن يشبهه

تعشق الأوطان هذا الوطن



هواة الفتوى يُفرقون السفينة

أصبحت الفتيا الشرعية في المزداد العلني، وصار الكثير ممن عنده حد أدنى من العلم الشرعي يفتي في المسائل الكبرى العامة بلا ورع ولا تأمل، وفي الأثر "أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار" بل بعضهم معه ستة تلاميذ يرى أنهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية وما عداهم ضلال مرتدون أفأكون آثمون، فالحكام كفار، والكتّاب زنادقة، والشعراء فجرة، والعلماء علماء سلطة، والدعاة مدلسون، والموظفون ظلمة، والتجار غشاشون، ففعل فعل أبي حمزة الخارجي يوم قال لصاحبه: لن يدخل الجنة إلا أنا وأنت، قال صاحبه: سبحان الله جنة عرضها السموات والأرض لا يدخلها إلا اثنان؟ تركتها لك!! فهذه ليست بجنة الله التي وعد عباده.

حاورتُ أنا والدكتور سعد البريك شاباً يحمل شهادة الثالثة المتوسطة ترك الدراسة وعكف على الكتب يفهمها بنفسه، فحرّف النصوص وتأوّل الأدلة وخرج بفهم مضحك للشريعة، وذكرنا له ابن باز وابن عثيمين فهوّن من شأنهما وحنّ من قدرهما، والعجيب أنه يفتي في المعتقد والدماء والولاء والبراء التي هي من أصعب المسائل على الإطلاق وبعد جلسات غسل دماغه من الوسوسة والحمد لله.

كان في عهد عمر رجل يُدعى صَبِيغ بن عَسَل يفتي ويضارب بين الأدلة بلا فقه ولا ورع، فدعاه عمر وبطحه أمام الناس وعلاه بالدرة حتى أغمي على الرجل، فلما أفاق قال: أصبحنا وأصبح الملك لله، فقال عمر: كيف تجدك؟ قال الرجل: ذهب عني ما أجد يا أمير المؤمنين وشُفيتُ بإذن الله.

عندنا مواقع للإنترنت وقنوات فضائية تعجّ بمفتين لا يملكون أهلية الفتيا، فلا حفظ ولا فهم ولا علم بمقاصد الشريعة ولا معرفة بالواقع، أخرجوا فتاوى مشوّهة شاذّة متناقضة متضاربة، فأحدهم يُردّد في إحدى القنوات كلما سُئل عن مسألة: لا بأس بذلك لا بأس بذلك، والآخر يردد: أظن والله أعلم والظاهر والأحوط ونحو ذلك من العبارات التي تنبئ عن ضحالة في العلم ونقص في العقل وضمور في المعرفة.

كيف تسلّم الأمة دينها ودنياها لمفتين لم يُعرف عنهم الصبر على طلب العلم ولا الرسوخ في فهم الأدلة ولا التّفقه في الدين؟ كيف نضع مستقبل أجيالنا ومصير أمتنا بأيدي أناس يفتون في مسائل توقف فيها كبار العلماء ولو عُرضت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر.

متى تُوحّد الفتيا في العالم الإسلامي من جاکرتا إلى نواكشوط بل في الدنيا بأسرها، لأن في كل صقع مسلمين ويكون

لهذا الاتحاد إمكانيات ويُزود بالعلماء المقتردين الراسخين، مع عشرات المترجمين بقنوات فضائية وخطوط هاتفية حيّة على مدار الليل والنهار، يا من تعجل في الفتوى، يا من تسرّع في التكفير والتبديع والتفسيق والتضليل ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؟

إن الفتوى توقيع عن رب العالمين فويل لمن أخطأ في التوقيع عن الواحد القهار، إن الإنسان عنده من الذنوب والتقصير ما يغرقه في بحار الندم، فكيف يتحمّل ذنوب الناس وأخطاء البشر؟ أيها العلماء اضبطوا الفتوى السائبة، وامنعوا التلاعب بالشرع المطهّر وخذوا على يد السففيه الذي يلعب بالنار، لأنه لما ترك الحبل على الغارب تجرأ صغار طلبة العلم على الفتيا في المسبحة وزكاة الحلي وإسبال الثوب والتصوير، فلما سكت عنهم أفتوا في النوافل والفرائض والشروط والواجبات، فلما سكت عنهم أفتوا في العقيدة والدماء والولاء والبراء فصارت الفتيا نهياً مشاعاً فهلك بهؤلاء الحرث والنسل.

إن نصف عالم يفسد الأديان، ونصف طبيب يهلك الأبدان، ونصف مهندس يخرب العمران، كان الصحابة يتدافعون الفتيا ورعاً وخوفاً من الله، وسُئل الإمام مالك عن أربعين مسألة فأجاب عن ثمان مسائل وقال في اثنتين وثلاثين مسألة: لا أدري، فقال

له السائل: الإمام مالك لا يدري؟! فقال مالك للرجل: اذهب إلى الناس وقل لهم: مالك لا يعرف شيئاً. مع العلم أن الإمام مالك قال عنه العلماء من معاصريه: لا يُفتى ومالك في المدينة، وقال عنه الشافعي: إذا ذُكر العلماء فمالك النجم، يقول الشاعر:

ومالك حيث أفتى في مدينته

فلست أرضى بفتوى غير فتواه

فقل لي بربك: ما مقدار علم هؤلاء المتسرعين الجهلة مع علم مالك؟ بل إن بعضهم أصبح منظرًا لمذهب أهل السنة والجماعة فمن وافقه فهو على الصراط المستقيم، ومن خالفه فهو في ضلال مبين:

ويفتي - جاهلاً - في كل فن

ولا يدري طحاها من دحاها

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.



أعوذ بالله من السياسة

ينبغي على العلماء والدعاة أن لا يفرقوا في السياسة؛ فإنها مشؤومة تدخل العالم والداعية في دهاليز مظلمة، والسياسة متقلّبة، كالحرباء كل يوم لها لون، وهي تقوم على لعبة النفاق الدبلوماسي، وتغيير المواقف حسب المصلحة، وهذا ينافي العلم النافع القائم على الوضوح والصدق والصراحة، وهذا لا يعني أنه ليس في الإسلام سياسة؛ فالإسلام جاء للدين والدولة والدنيا والآخرة، والرسول ﷺ هو مؤسس دولة الإسلام، وخلفاؤه الراشدون هم أفضل حكام في العالم، لكن تغيّر الزمان، واختلط الحابل بالنابل، وكثرت الفتن والمحن ما ظهر منها وما بطن، فإذا زجّ الدعاة والعلماء بأنفسهم في السياسة وتهالكوا على طلب الحكم والمنصب خسروا علمهم ودينهم، ثم خسروا رؤوسهم، فعلى العالم أن يكون ربّانياً حكيماً مصلحاً يدعو الناس إلى جنّات النعيم، ويهذبهم بالوحي، ويربيهم على مكارم الأخلاق، ولا ينشغل بالبحث عن الكرسي؛ فإن هذا خذلان وضياع للوقت وبالله هل علماء العصر أذكى من الأئمة الأربعة والعزالي وابن تيمية وقد فرّوا من المناصب، فرفضوا الولايات؟ بل إن بعضهم جُلِدَ وهُدِّدَ كأبي حنيفة ليتولّى القضاء فرفض. فخلف من بعدهم خلفٌ يسعون بكل ما أُوتوا من قوة إلى الولاية والمنصب والكرسي

مهما كان الثمن، لتصبح دروس الواحد منهم ومحاضراته وخطبته وتوجيهاته كلها سياسة في سياسة، فيهجر القرآن والسنة النبوية، ويصبح منظرًا سياسيًا يذكرك بمنظري الحزب الواحد والضباط الأحرار وقادة الثورة والبلاشفة الحمر، فيذهب عنه بهاء العلم ووقار الشريعة، ويشغل نفسه بالهذيان وهجر القرآن، ولو كان الاشتغال بالسياسة رأياً حكيماً لرأيت سعيد بن المسيب وسفيان الثوري والحسن البصري أحرص الناس على ذلك، لكنهم هربوا من الفتنة، واشتغلوا بفهم الكتاب والسنة، وربوا الأجيال بالوحي المبارك، وتركوا لنا علماً غزيراً مباركاً. وانظر لمن تأول مجتهداً في طلب الرئاسة والاشتغال بالسياسة ماذا حصل له؟ وكيفيك أن تقرأ أخبار الحكام ومصارع من قتلته السياسة، فالحسين بن علي قُتل مظلوماً شهيداً، وابن الزبير مصلوباً، وأخوه مصعب مذبحاً، والأمين مخلوعاً، والمعتمد بن عباد مسجوناً، وابن بقية مقطّماً، وابن مقلّة ممزّقاً، ومروان الحمار محترقاً، والقاهر مسمولاً، وابن المعتز معضراً، والوليد بن يزيد مسحولاً، والمتوكل منحوراً، وابن الفرات مخنوقاً، والسادات مقتولاً، ويحيى حميد الدين مغتالاً، والأرياني منفيّاً، والحمدي مشدوخاً، والغشمي مرضوخاً، وابن بلا مفضولاً، وعيدي أمين مضاعاً، وشاه إيران مبعداً، وهتلر منتحراً، وضياء الحق ملغماً، وكندي مغدوراً، وصادام مشنوقاً، حتى انتهى الحال بالأستاذ الشيخ محمد عبده

إلى أن قال: أعوذ بالله من (ساس يسوس فهو سائس)، وقال
النورسي: لعن الله (ساس يسوس)، ولكن الكثير لا يتوب منها
حتى تعضّه بأنيابها، وتطأه بأخفافها، وتنطحه بقرونها. قال
حكيم لابنه: يا بني، لا تكن رأساً؛ فإن الرأس كثير الأوجاع.
ويقول أبو العلاء المعري:

يَسُوسُونَ الْأُمُورَ بِغَيْرِ عَقْلِ
فَيَنْفُذُ أَمْرُهُمْ وَيُقَالُ سَاسَهُ

ويقول الشاعر اليمني محمد الشامي:

عَفْتُ السِّيَاسَةَ حَتَّى مَا أَلَمْتُ بِهَا
لَأَنَّهَا جَشَمَتْنِي كُلَّ نَائِبَةٍ
وَقَدْ رَدَدْتُ إِلَيْهَا كُلَّ مِيثَاقٍ
وَأَنَّهَا كَلَفَتْنِي غَيْرَ أَخْلَاقِي

وقال الشاعر السوري عمر أبو ريشه:

ودع (القادة) في أهوائها
تتفانى في خسيس المغنم

وقال البردوني:

جَرِّبُوا فِي الشَّعْبِ شَعْبِيَّتَكُمْ
وَاخْرَجُوا فَضْلاً بِلَا أَقْوَى حِرَاسَةٍ

وأنا أقول:

تبئتُ من (ساس) وطلّقتُ السّياسةُ

فالسّياسات بلاء وتعاسةُ

وصحبتُ الحرف فجراً مشرقاً

عاشقاً للعلم صبّاً بالدّراسةُ

إنما الملك الذي لا ينتهي

حكمة تشرق من رأس الكياسةُ

أُتغنى بكتاب محكم

طيّب الله على الدّهر غراسهُ

والصحيحان فلي شذو بها

والقواميس وديوان الحماسةُ

فدع اللاهين في دنياهمو

يشترون الحزن من سوق النخاسةُ

السّياسات حمى مشؤومة

كل من صادقها قد باع راسهُ

فاعتبروا يا أولي الأبواب بما حصل لمن عشق السياسة من
الدعاة، كيف وقع في الصدام مع الحكّام، ثم وُضع في الظلام، ثم
حُكم عليه بالإعدام، فصاروا في ويلات ومصيبات، وآهات وزنانات،
والناجي منهم اشتغل بصناديق الاقتراع، أو انهمك بالهتافات فضاء،
وما حصل إلا على ما يبكي العين، ويدمي القلب.

وراجعوا باب (في أنّ العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها) لابن خلدون في المقدمة، والحل أن تتفرغ طائفة من عقلاء الأمة للسياسة، أما طلبه العلم والدعاة للإصلاح الأمة .



كفى تشويهاً للإسلام

ما ذنب سائق التاكسي الفقير الذي يُذبح كما تُذبح الشاة في شوارع الدار البيضاء والجزائر بحجة الجهاد في سبيل الله؟ ما ذنب الجندي الذي يحرس عمارة بمرتب زهيد يعول أطفالاً ينتظرونه في البيت ثم يُفجّر في صدره الرصاص بحجة أنه مرتد؟ ما ذنب العامل البسيط ونادل المطعم وموظف الشركة والشيخ الكبير والعجوز الكسيرة والطفل البريء؟ ما هو الجرم الذي ارتكبه حتى تُمزّق أجسامهم بالقنابل بذريعة حماية الإسلام والذبّ عن حياض الملة؟

الإسلام بريء من هذا العمل الشنيع البشع، الإسلام أشرف من أن ينحط حملته إلى هذا المستوى الدنيء الممقوت، الإسلام دين ربّاني عالمي حضاري إنساني، أخبر رسوله الأعظم ﷺ أن امرأة حبست هرة حتى ماتت فعذب الله المرأة بسبب الهرة، الإسلام حرّم الاعتداء حتى في قتال المحاربين يقول سبحانه ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

كان عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وحرية غدر في ظهر الرسول ﷺ والصحابة وفعل الأفاعيل ضد المؤمنين حتى قال الصحابة للرسول ﷺ: ألا تقتله يا رسول الله؟ فقال الرسول ﷺ: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»، يا لروعة الكلمة! ويا لجمال مدلولها! كيف يتحدث العالم أن رسول الهداية الربّانية

ونبي الرحمة يقتل مَنْ صاحبه ساعةً من نهار ولو كان منافقاً بل رأس المنافقين، حينها لن يدخل أحدُ الإسلام، سوف تشوّه صورة الإسلام الجميلة لو حصل من الرسول ﷺ تصفيات جسدية لمن كان معه، فما بالك بمن أتى بسلاحه وقنابله ومتفجراته إلى العزل إلى الأبرياء إلى الطفولة إلى الشيخوخة إلى طبقات الضعفاء الكادحين وراء لقمة العيش إلى صفوف المساكين المعذبين بقهر الغلاء والوباء والمرض والديون فأتى من يذبحهم بدم بارد ليشوّه صورة الإسلام الجميلة عبر شاشات الفضائيات ومواقع الإنترنت ويشمت بنا الأعداء ويضحك علينا الأمم ويجعل مليار مسلم ونصف في موقف لا يحسدون عليه؟!

خجلنا والله من هذه التصرفات. نأسف لهذا العمل الأرعن السفيفه، نبرأ إلى الله من هذه الأفعال الشريرة ونعزي الأمهات المسلمات في الجزائر والمغرب والعراق وكل بلد أُبتلي بهذه الآفة ونقول لهؤلاء الغلاة: كفى تشويهاً للإسلام، وكفى إساءة لحملته الصادقين، وكفى إضراراً برسالتنا الخالدة، ألا عقل يردع؟ ألا ضمير يستفيق؟ ألا بقية من إسلام؟ ألا ذرة من حياء؟

شاهدتُ عجوزاً في مكان الانفجار تصرخ وتولول وترفع يديها إلى السماء وتقول: اللهم انتقم لنا منهم، شاهدتُ عاملاً بسيطاً يكدح في طلب الرزق قد انفصلت قدمه وسالت دماؤه وهو ينتحب، شاهدتُ فتاة في ريعان العمر تغيرت معالم وجهها وذهبت عيناها وأنفها ودماؤها تبل الثرى.

الآن يشمت بنا المحتلون الصهاينة واليوم يضحك علينا أعداء الإسلام ويصفقون طرباً بما فعله السفهاء منا، كلما قام عقلاؤنا بتصحيح صورة الإسلام ودفع الشبه عنه قام السفهاء بتشويه هذه الصورة وطمسها، كيف ندعو العالم الآخر للإسلام وهم يشاهدون بعض المنتسبين إليه يفجرون المطاعم وملاجئ الأيتام والمدارس والمستشفيات ودور الرعاية؟

ويا حسرتاه على من فعل بالإسلام الدين الخاتم دين الرحمة والعدل والسلام الدين الذي اعترف بجلالته وسموه وعالميته حتى أعداؤه، كل يوم نضع أيدينا على قلوبنا خوفاً من تشويه السفهاء وأفاعيل الحمقى وتصرفات الأغبياء، ارفعوا فؤهات البنادق وأغمدوا سيوف الغدر وضعوا السلاح فقد سفكتم الدم الحرام وقتلتم النفس المعصومة وشوهتم الدين العظيم وأبكيتم الأصدقاء وأفرحتم الأعداء وأشمتم بنا أمم الأرض، اخرجوا إلى النور وأقبلوا على طلب العلم وصحّحوا مسيرتكم وعودوا إلى رشدكم وتعالوا إلى جماعة المسلمين وادعوا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وشاركوا في التعليم والبناء ونفع الناس والوقوف مع المساكين وإغاثة الملهوفين وأسهموا في صنع حضارة الإسلام فباب التوبة مفتوح وكلنا خطاء وخير الخطائين التوابون.



الوصفة السحرية للحياة الزوجية

ينبغي للرجل أن يكون واقعياً في اختياره لزوجته فلا يذهب وراء الخيال والمثاليات في البحث عن الزوجة التي تسعده، فإن بعض الناس يشترط في الزوجة شروطاً كشرط المجتهد المطلق عند الأحاف، فيريد زوجةً في حسن يوسف وعفاف مريم وصوت داود وتكون على حد قول الأعشى:

غَرَاءُ فَرَعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا

تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ

كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا

مَرُّ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

أما وجهها وشعرها فعلى حد قول صديقي أبي الطيب:

كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا

فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتِ لَيَالِي أَرْبَعَا

وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا

فَأَرَتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

وهذه الأوصاف لا تنطبق إلا على إحدى الحور العين في

جنّات النعيم، بينما هو قد يكون أحرق من هبتقة وأبخل من

مادر وأغبي من باقل وأجبن من أبي حية النميري، وعلى المرأة

أن تكون واقعية في اختيار الزوج ولا تهيم مع الخيال المجنح في

اختيار شريك حياتها، فبعضهن متشددة موسوسة في شروطها التي يتصف بها الزوج فتريده على حد قول أبي تمام:

إقدام عمرو في سَمَاحَةِ حاتم

في حلمٍ أحنفَ في ذكاءِ إياسٍ

في زهد الحسن البصري وفقه أبي حنيفة وحفظ الأصمعي بينما هي قد تكون آية في الغباء ومضرب المثل في ثقالة الدم وقمة في سوء الخلق، لماذا لا نعيش واقعنا ونرضى بما تيسر؟ وإذا حصل خلاف بين الزوجين فهناك وصفة سحرية اكتشفت في الأخير على يد أحد خبراء علم التربية بعد بحث طويل وسهر مضنٍ وهي أن يجلس الزوجان بعد كل مشكلة جلسة مصارحة ومكاشفة تسمى جلسة (فضفضة) يشترط فيها ألا يشاهد الزوجان التلفاز ولا يشغلان بالقراءة ولا بالنظر إلى الحديقة وإنما ينصت كل واحد منهما للآخر فيبدأ أحدهما بالحديث حتى يخرج كل ما في جعبته وينصت الآخر ولا يقاطع فإذا انتهى المتكلم قال المستمع: هذا كلام جميل وأنا موافق عليه وآسف على كل خطأ، ولا يحاول أن يعترض على أي كلمة سمعها أو يرد عليها، بعدها سوف تتحوّل الجلسة إلى مصالحة ومسامحة، لأن ٩٠٪ من مشكلات الزوجين صغيرة وتافهة أو (كلام فاضي) فهي عن تأخر الزوج عن البيت أو انشغال جواله أو كثرة ضيوفه أو عدم مدحه لطعامها أو لأنه لم ينظر للزوجة بإعجاب عند دخول

البيت، أو أن الزوجة أَخَرَت الطعام، أو لم ترتب الملابس أو نسيت المناشف أو أن الشاي بارد أو أن ملح الطعام زائد قليلاً، وهذه المشكلات العالمية الكبرى تحتاج إلى جلسة طارئة فيها فضفضة ولا يتخذ فيها أي قرار إنما إنصات وحسن استماع وهزّ رأس بالموافقة وبعدها تعود الحياة أجمل ما تكون، أرجو أن لا يكثر الزوجان من الجدل العقيم والمناقشات والحرص على الردود فهذه لا تزيد النار إلا اشتعالاً، قيل لأحد الحكماء كيف تعالج المشكلة مع زوجتك؟ قال: أنصت لها حتى تقول كل ما لديها، ثم أوافق على كلامها وأعترف بالتقصير والخطأ فتبدأ هي تبحث لي عن أعذار، ولو ذهب الرجل يرد على زوجته ويغلطها لرفعت صوتها وسبّتته ثم كذّبها حينها تشتمه ثم يضربها فتقوم فتلطمه فيطلقها حالاً ويهدم البيت، إذا المشكلات الزوجية سهلة في الغالب بل تافهة إنما تحتاج إلى واقعية وفضفضة وسعة بال واعتراف بالخطأ وعدم الحرص دائماً على أن يثبت أحد الزوجين للآخر أنه على حق وسوف يصلح الحال، ويُشرح البال، ويزول الإشكال، وينتهي القيل والقال، وعلى الرجل أن يستعمل المجاملة مع زوجته فإذا نظر إليها وهي معبّسة مقطّبة أسمعها قول الشريف الرضي:

يَا ظَبِيَّةَ الْبَانِ تَرعى فِي خَمَائِلِهِ

لِيَهْنَكِ الْيَوْمَ أَنَّ الْقَلْبَ مَرعَاكِ

وإذا ذكرت له امرأةً أخرى جاملها وهوّن من شأن الأخرى

وقال كما قال شاعر الزُّلْفِي ابن عويس:

الزَّينَ مَا وَدَّكَ تَحَطُّهُ مَعَ الشَّيْنِ

وَدَّكَ تَخْلِي كُلَّ شَيْءٍ لِحَالِهِ

وعليها أن تجامله فإذا رأتَهُ نائماً وله شخير قالت:

يَا ذِيبُ يَا لِي جَرَّ صَوْتِ عَوَى بِهِ

هوذا هوى والأ من الجوع يا ذيبُ

وإذا كَحَّ وتحنح فعليها أن تقول:

بِاللَّهِ لَفْظُكَ هَذَا سَأَلَ مِنْ عَسَلٍ

أَمْ قَدْ صَبَبْتَ عَلَى أَفْوَاهِنَا عَسَلًا

وعلى الزوج أن يمدح الشاي والمكسرات ويشي على الصحون والملاعق وينظر بإعجاب إلى زوجته ويرفع يديه فيحمد الله على أن رزقه بها وهو يتمنى في نفسه أن تموت في أقرب وقت، وعلى الزوجة أن تتنظر بإعجاب إلى وجه زوجها العبوس القمطرير وتقول له قول أبي الطيب:

خَفِ اللَّهَ وَاسْتُرْ ذَا الْجَمَالِ بِبُرْقُعٍ

فَإِنْ لُحِتْ ذَابَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ

وهو يبادلها النظر إلى وجهها المكفهر ويقول:

تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ

بدا حاجبٌ منها وضئتُ بحاجبٍ

والمقصود استعمال الدبلوماسية والمجاملة (ومشوا الأمور) وأصلاً الحياة قصيرة جداً.

اختطاف المشروع الإسلامي

ما هذه الفتنة العمياء، والداهية الدهياء التي ضربت في صميم مجتمعاتنا، واجتاحت فتناً من شبابنا، وحوّلت سهامهم إلى صدور أهليهم، فأخربوا بيوتهم بأيديهم، فخرّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فكشفت أوراقهم، وظهرت مخبّاتهم، فيا للفتنة الفظيعة! ويا للعمل المشؤوم والمصير المظلم!

إن المشروع المحمدي كان عنوانه (رحمة للعالمين) كل العالمين، استظل بفيئه الوارف القريب والبعيد، والموافق والمخالف، والبر والفاجر، وكانت الرحمة شعاره ودثاره، حتى قال لأعدائه حين ظفر بهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، ولم يحاكمهم على جرائمهم، ولا كشف أوراق من خططوا لاغتياله في العقبة يوم تبوك، وأبى قتل المنافقين، وهم أحابيل المؤامرة اليهودية على الدولة الناشئة، وأعرض عن غورث بن الحارث وقد شهر السيف صلتاً فوق رأس المصطفى عليه الصلاة والسلام، وفتح مكة بعدما امتنعت عليه، فما نصب المشانق ولا أقام المجازر، وما قتل أعمدة الحرب وأركانها، كان قتلى الفتح دون أصابع اليد الواحدة، فصحّ أنه رحمة، وأن دينه رحمة، وأن شريعته قامت على الرحمة.

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ

هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَمَاءُ

وَإِذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ أَوْ أُعْطِيَتْهُ

فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءُ

والمشروع المقتضي أثر النبوة يجب أن يكون رحمة وبراً، ودعوة وحباً، وتأليفاً ولطفاً، وتسامحاً وعفواً.

أما العدوانية الباغية التي تأتي على الحرث والنسل، وتقتل القريب والبعيد، وتحمل السلاح على الآمنين، وتنبذ العهد، وتشق عصا الطاعة، فهي خروج على الصف الواحد، تجدد ما كاد أن يندرس من صنيع سفهاء الأحلام، حدثاء الأسنان، الذين عوّقوا مسيرة الفتح، واعترضوا مشاريع التنمية والبناء، وأربكوا خطة الدعوة، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل.

مَنْ المستفيد من تدمير المنشآت؟ ومن الرابع من ضرب البنية الاقتصادية؟ ولمصلحة مَنْ تتلقى أجيال وشعوب رسالة مضللة مفادها أن الإسلام قتل وتدمير وعشوائية وعدوان؟ ما هذه الجراءة على حدود الله وتقحم المهالك؟ واستحلال الدم الحرام؟ وإهلاك الحرث والنسل؟ والتعرض للحرمان العظيمة في كعبة الله وبيته، وفي عباده الصالحين، وفي أهل الأذكار والأسفار، وفي الرُّكْع السجود، وفي عوام المسلمين المصلين، وفي الصبية البراء، والحرمان والنساء؟

أي عقل غرب عن هؤلاء؟ وأي ضمير مات؟ وكيف استرخصوا أنفسهم في غير طائل، وأقدموا على حرب يخوضونها بالباطل، فلا لحق الله رعوا، ولا لخوف من عقوبته وناره ووعيده دعوا؟ ما أقبح الانفصال عن الجماعة، وخلع السمع والطاعة، والاعتداد المفرد بالرأي ولو قاد إلى هوى، واللجج في الخصومة ولو أدى إلى التلف! الأمة اليوم في مهبط الوحي تنفياً ظلال مشروع إسلامي شامل، يبني المجتمع، وينمي الاقتصاد، وينشر العلم، ويجمع الشمل، ويوحد الصف، ويسعى للتطوير، ويستوعب الجميع، ويفتح أبواب الخير والعمل والنفع، وكل من أراد أن يعمل أو يبني أو ينجز، وما هو بمعصوم عن النقص الذي يتطلب الاستدراك والتصحيح والتناصح بين المؤمنين، إن طالباً في صفه، أو طبيباً في عيادته، أو جندياً في ثكنته، أو خبيراً في عمله، أو عاملاً في حقله، أو راعياً لغنمه، أو امرأة في بيتها، هم شركاء في إنجاز عمل صالح فيه مرضاة الله، ونفع لخلقهم، وهم أعضاء صالحون في المشروع الحضاري للإسلام، أما هواة التدمير، ومحترفو التفجير، وأساطين التكفير، فلهم كل السخط من الجميع، والنبذ من الكل، وهم نبتة حنظل اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، المشروع الإسلامي رحمة وعدل وتعمير، والمشروع الظلامي عنف ورعب وتدمير، المشروع الإسلامي معه العدل والشرعية والأمة، والمشروع الظلامي معه البغي والعدوان والخروج على الإجماع.

الشيخ الشيطان وعلاج المرضى

قامت بعض القنوات الفضائية بالضحك على الذقون عبر تخصيص برامج عن السحر والشعوذة، فلعبت بذلك على عقول الحمقى، وتحول الموقف إلى مهزلة مضحكة ومسرحية عابثة، وتصدر هذه البرامج كل أفكأ أنيم وكل مفترٍ دجال ممن أُصيب بمرض انفصام الشخصية أو الكبت القهري أو المرض النفسي، فصار يخبر المتصل بترهات وسخافات؛ فيسأله عن مولده متى كان، ثم يجيبه بقوله: أنت من فصيلة برج الثور أو الحمل أو الأسد، وأنت تهوى كذا وكذا، ومصاب بكذا وكذا، ثم يصف له علاجاً يخالف الدين والعقل والطب؛ فيوصيه - مثلاً - بذبح ديك أسود - سؤد الله وجهه - أو بسحق قرون الثوم ونشرها في غرفة النوم، أو بصيد حمامة بيضاء وذبحها وغمس ريشها بالدم، ثم يأمره بوضع الريش تحت رأسه إذا نام.

ومنهم من يسأل عن اسم أم المريض؛ فإذا قال السائل مثلاً: اسم أمي فاطمة قال: أنت مصاب بعين المحبة، وعلاجك أن تغمس يديك في دم خروف أسود - سؤد الله وجهه - ثم تمسح بها وجهك.

وبعضهم عنده عملة نقدية يقلبها في أثناء الحلقة وفي أثناء اتصال المتصل يخبره بمرضه.

إن هذه القنوات جعلت مصدر دعمها اتصال الحمقى والسفهاء والمعتوهين؛ فبمجرد الاتصال يبدأ رصيد القناة المالي في الارتفاع، وقد سمعنا ورأينا مئات الاتصالات من هؤلاء المرضى، ولكننا لم نشاهد واحداً منهم تعافى وتشافى بهذه الوصفة المكذوبة، والعجب أن هذه القنوات المدمرة للدين والعقل والعرض والمروءة تنتشر في ربوع العالم الإسلامي جهاراً نهاراً، ولم تتخذ أي دولة تصرفاً حازماً أمام هذا الدجل وابتزاز أموال الناس والتلاعب بعقولهم والعبث بصحتهم وتدمير بيوتهم، وكأن أبا الطيب معنا يوم قال:

يَا أُمَّةَ ضَحِكْتَ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ.

أين الحكومات التي تراقب أنفاس الناس وتسجل عطاسهم، وتصورهم وهم يتشاءمون؟ أين هذه الحكومات من عصابات الشعوذة والإفك والخرافة التي حوّلت بعض الشباب والفتيات إلى مجانين ومعتوهين؛ لأنهم صدقوا الوهم وآمنوا بالخرافة؛ فركبهم الشك، وتلبّس بهم الوهم؛ فأصبحوا مرضى عاطلين عن العمل والإنتاج؟ ثم إن الأخطر من ذلك أنها تحول المؤمن إلى ملحد شرير، وقد حمى سيد الخلق ﷺ جناب التوحيد من هؤلاء الفجرة الأشرار بقوله: "من أتى عرافاً أو كاهناً أو ساحراً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد". أف لهذه العقول السخيفة التي باعت طاعة الله بطاعة الشيطان، تف

على هذه القنوات الحقيمة التي خربت البيوت ودمرت القيم،
 الخيبة والندامة لشياطين الإنس الذين تصدروا الشاشات
 ليقدموا الدجل والزور والبهتان للناس، حتى الرقية الشرعية
 الصحيحة أصبحت تمارس بطرق مضحكة غاية في المهزلة
 ونهاية في الغباء؛ فأحدهم وضع له قناة يرقى ويقرأ وينفث
 عبر الشاشة على المشاهدين الكرام من إندونيسيا إلى موريتانيا؛
 لتتألمهم بركة ريقه الطاهر المطهر عبر ذبذبات الأثير، وعلَّ لعبه
 المبارك ينقل لهم عبر الأقمار الصناعية، ولا يستحي أن يخبرنا
 أن الله شافى بريقه- عبر الشاشة- الملايين، وقد كذب وافترى،
 بل هو بحاجة ماسة إلى من يبرك على صدره، ويقرأ عليه آية
 الكرسي، ثم يودعه المارستان، ومثل هذا يجب أن يُحجر عليه؛
 لئلا ينقل عدواه وهباله إلى الأمة.

مخجل ما تعرضه قنوات السحر والشعوذة، مؤسف ما نراه
 من هذه العصابات المشبوهة والوجوه الكالحة.

أيها الحكام، أيها العلماء، أيها العقلاء، أوقفوا هذا الخزي،
 تصدوا لهذه الظاهرة البشعة القبيحة، أنقذوا عقول الشعوب
 ودينهم وأموالهم، أحيّلوا القائمين على هذه القنوات والكهان
 والسحرة والمشعوذين إلى العدالة، قدّموهم إلى القضاء، أنصفوا
 الناس الذين ذهب إيمانهم وأموالهم وعقولهم، كفى شماتة بنا،

وكفى ضحكاً على ذقوننا، الشرق والغرب تزخر مصانعهم وتعج معاملهم بالإبداع والإنتاج، وعندنا القنوات الوثنية الخرافية تعيدنا إلى مغارات سحرة بابل وكهوف شعوذة قدماء الهند، وعهود اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، الغرب يشاهد رواد فضائه عبر الشاشات يهبطون على المريخ، وبعضنا يشاهد الشيخ الشيطان عبر الشاشة يكذب على الله وعلى الأمة وعلى التاريخ ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، ولعن الله المشعوذين والأفّاكين والدّجالين، أف وتنف على سماحة الشيخ الشيطان المشعوذ المشرك ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.



لا تقتلوا الطفولة

من حق الطفل أن يضحك وأن يمزح وأن يلعب، وهو حق طبيعي اتفق عليه العقلاء وأتت الشريعة بتأييده؛ ففي الحديث: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع"، فبعد السبع ابدأ التعليم والأمر والنهي، قال سفيان الثوري: لآعب ابنك سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم اتركه للتآارب، فينبغي لنا أن نترك أطفالنا يستمتعون ببراءة الطفولة، وفي القرآن حكاية عن أبناء يعقوب قولهم لأبيهم: ﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ ثم قالوا: ﴿إنا ذهبنا نستيق﴾ أرجوك أن تترك طفلك يمزح ويلعب ويضحك ويسابق ويعيش كما يعيش العصفور تماماً، ولا تثقل عليه بحفظ المتون، وقراءة مقدمة ابن خلدون، ومعارضة قصيدة ابن زيدون، وشرح حاشية ابن القاسم على موطأ مالك، فقد وجدتُ آباءً بدؤوا يحفظون أطفالهم المتون في الثالثة والرابعة من أعمارهم، فعاش الطفل في همٍّ وغمٍّ ونكد، فإذا ضحك الطفل صاح به أبوه: انتبه يا ولد، وإذا تبسّم قال له: (وش هذا)؟ وإذا لعب قال له: نسيت الآية ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ وإذا سأل أباه أن يشتري له لعبة انتهره قائلاً:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا

عَلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ أَبَوُهُ

فإذا استأذنه أن يعلب مع الأطفال أنكر عليه وقال: أين أنت من قول الأول:

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا وَلَيْدٌ

تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ

بعض الآباء عذاب واصب وعقوبة من الله على أطفاله، تجدهم يمزحون ويمرحون فإذا دخل عليهم البيت سكتوا وصاحوا: جاء الوالد جاء الوالد، فدخل عليهم كالموت: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ لا تقتلوا البسمة في شفاه الأطفال.

كان سيد البشرية ﷺ رحيماً بالأطفال يمازحهم يضاحكهم يحملهم، كان يصعد الحسن والحسين على ظهره وهو ساجد، وكان يحمل الطفلة أمامة بنت ابنته زينب وهو يصلي بالناس، كان يأخذ الحسن والحسين في حضنه ويقبل هذا مرة وهذا مرة ويقول: "هما ريحانتي من الدنيا"، فيقول له رجل: عندي عشرة أبناء ما قبّلت واحداً منهم، فيقول له الرسول ﷺ: "وهل أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك".

إن الطفل بحاجة إلى متعة ذهنية ورياضة جسمية تجعله مستعداً للحياة القادمة حياة العمل والإنتاج، فلماذا نستعجل الأيام ونحرّمه حقّه الطبيعي في اللعب والمزاح والبهجة؟ أتحرم البلبل من النشيد في البستان؟ أتمنع العصفور من التمرغ على بساط

الروض؟ أئسكت العندليب أن يتغنى بآيات الحب على غصون الزيتون؟ إن الإعاقة الفكرية قد يكون سببها أب ظالم شرس يجلس مع أطفاله كأنه الحجاج بن يوسف، فيجمع في نفوسهم البسمة ويكبت في أرواحهم الفرحة، فيكبرون وفي قلوبهم مرض القهر النفسي والكبت الأسري، فيبقى الواحد منهم غير سوي، تشاهد على وجهه سحابة سوداء من الكآبة والحزن الدفين من آثار الطفولة البائسة المحرومة، إن بعض الآباء أسد هصور على أطفاله، ولكنه نعجة في مواقف الحق، إذا لم يصل أطفالك لدرجة الفرحة الغامرة والاستقبال الحار بقدمك بحيث إنهم يتسابقون إلى فتح الباب إذا أقبلت فراجع تربيته لهم، وتحول أنت طفلاً وديعاً بينهم فتتزل إلى مستواهم في الحديث، اسرد لهم نكاتاً، وداعبهم بلطائف، وشاركهم لعبهم وسباحتهم وقفزهم، ولا يعني ملاطفة الأطفال ومداعبتهم وتركهم يلعبون إهمال الأدب، بل سوف تغرس في قلوبهم الفضيلة بلطفك بهم، فتهدبهم برفق وتربيههم بعفوئه دون أوامر عسكرية، إن الطفل لا يعرف إلا أباه، فهو يراه أشجع من عنترة وأكرم من حاتم وأحلم من الأحنف، فمن أراد أن ينشأ ابنه صادقاً كريماً حليماً فليكن هو صادقاً كريماً حليماً، فلنجعل الحب مكان السوط، والرفق محل العنف، واللفظ مكان الكبت، حينها نسعد بأبناء أسوياء يحملون رسالتهم في الحياة بجدارة، ويصلون إلى كرسي الريادة باقتدار، وإذا لم

يلعب الطفل ويضحك في السنوات السبع الأولى من حياته فمتى
يضحك؟ هل يضحك يوم تقبل عليه الحياة بمتاعبها وهمومها
وأحزانها؟ يوم يحمل مسؤولية البيت والوظيفة والرزق والحقوق
الاجتماعية والواجبات الشرعية وعقوق الناس وتكر الأصدقاء
وركلات الأعداء؟ حينها يصرخ القلب المفجوع بحنين:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا
فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ



الإنسان المفترس..!!

سمعت من الحيوان المفترس ولكنني سوف أخبركم اليوم عن الإنسان المفترس، وهو الإنسان العدوانى الذي لا يعيش إلا على الكراهية والخلاف والشقاق، ولا يهدأ حتى يكون له كل يوم ضحية، فهو إما يعادي زوجته أو ابنه أو صديقه أو جاره، فتجد المشكلات تحل وترتحل معه، وهو دائماً يشكو من ظلم الناس له وتآمرهم عليه وعدم معرفتهم بمكانته، وفي الحقيقة أنه هو الظالم، ولكنه أصبح كما قال أبو الطيب:

وَمَا انتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ

إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ

وهذا الإنسان المفترس يخلق كل يوم أزمة، فهو يشاكس مدير المدرسة بسبب أنه ظلم ابنه، ويخاصم القاضي؛ لأنه جار عليه في الحكم، ويعادي الشيخ؛ لأنه أخطأ في فهم سؤاله، ويكره الطبيب؛ لأنه خدعه في الدواء، وناقم على إمام المسجد؛ لأنه يتعمد إطالة الصلاة، وهذا الإنسان المفترس يتحاماه الناس ويدارونه كما يداري أهل المجنون مجنونهم، ومع ذلك لا يسلمون من بطشه وغضبه وسبّه وشتمه، وهو دائماً متهيئ للمنازلة، ففي سيارته هراوة لوقت اللزوم، وفي بيته مسدس للطوارئ، وهو

يحفظ أخطاء الناس ويتصيد مثالبهم ويكشف معايبهم لوقت الحاجة حتى إذا اختلف معهم فإذا هو قد أعدّ للأمر عدته وجهز لهم ملف العيوب؛ ليووقعهم في شرّ أعمالهم، وهو أبداً غاضب على الجو في الصيف لشدة الحرارة، فينظر إلى الشمس ساخطاً ناقماً، وهو غاضب على الشتاء القارس بسبب الريح الباردة كلما هبّت، وهو يلعن الظلام، ويشتم الغبار، ويغتاب الرطوبة، وهو لكثرة غضبه وحقده وحسده مصاب بالضغط والسكري والربو وحمى الوادي المتصدع وجنون البقر، في جيبه بخاخ ودواء ومسكّنات ومهدئات وفيتامينات.

وقد ذكر صاحب كتاب (المستطرف) أنّ رجلاً حاداً غضوباً شرساً دخل على زوجاته الأربع وهن مجتمعات، فقالت الأولى له: ما الذي أخرك عنا ونحن ننتظرك؟ فقال لها: وأنت رقيقة عليّ؟ أنت طالق، قالت الثانية: تطلقها وما صدر منها شيء؟! فقال: وأنت طالق معها، فقالت الثالثة: استعجلت هداك الله، فقال: وأنت طالق أيضاً، فقالت الرابعة: سبحان الله! تطلق ثلاث نساء في مجلس واحد؟ فقال: وأنت طالق معهن، فقالت امرأة جاره: أعوذ بالله من الشيطان ما رأيت أفض ولا أغلط منك، فقال: وأنت طالق إذا رضي زوجك، فجاء زوجها وقال: رضيت.

وقالوا إن رجلاً عصبي المزاج غليظ الطبع سيئ الخلق أتى إلى الخياط بقماش في يده وقال له: فصل هذا القماش أربعة ثياب ولا تلعب في التفصيل، وأحذر من التأخير في الموعد، ولا تضع مقاسات الثياب، وانتبه لا تماطل في الموعد، حسبي الله عليك، وأعوذ بالله منك، والشرهة ليست عليك، الشرهة على الذي جاء يفصل عندك، أقول: أترك القماش، الله ينتقم منك، ثم أخذ قماشه وأدبر يسب ويشتم.

وهذه طبيعة الإنسان المفترس، فالأمور في البيت قبل أن يصل هادئة، وإذا جاء حول البيت إلى خصومة وشقاق، والمجلس تجده قبل أن يحضر في أمن وسلام، فإذا أطل عليه حوله إلى شجار وخصام، وهذه النوعية لا تعيش إلا على الأزمات، ولا ترتاح إلا مع الخلاف مثل الذباب لا يقع إلى على الجرح، أيها الإنسان! ارفع راية السلام، وتذكر أن دينك الإسلام جعل تحية اللقاء: السلام عليكم، فهل تدبرت هذه الجملة العظيمة التي معناها إلقاء سلاح العداوة وإعطاء الناس العهد والأمان من كل أذى وشر؟ وهي عنوان لكتاب الإخوة ودفتر الصداقة، ومن مقاصدها: لا حرب بعد اليوم ولا خصام من الآن ولا تنافر ولا تباغض، وفي الحديث: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، هيا أيها الإنسان نتحول إلى إخوة أصدقاء، وإلى أصدقاء أوفياء، وقد قلت في قصيدة (أنشودة الطفولة):

فيا أيها الإنسان هاك صداقة
 أبر من الأم الرؤوم وأحدبا
 تعال نوفّي الوصل عهداً مباركاً
 وخذني أخاً إذ كان آدمُ لي أبا
 إذا كنت قابيلَ العداوة والردي
 فإني أنا هابيل رأياً ومذهباً



ضحايا الوهم

لا شك في أن الحسد حقيقة لا مناص منها، وقد أثبتته القرآن والسنة، ويدخل فيه العين، والعين حق، لكن المشكلة أن بعضهم تلبس به الوهم فأصبح يظن أنه مصاب بالعين في كل شيء، فكلما أخفق حوّل هذا الإخفاق مع التحية للعين والحسد، وإذا فشل في عمله فلاّنه مصاب بالعين من حسّاده، وإذا رسب في دراسته فالسبب شياطين الإنس، فهو عند نفسه عبقرى لكن أعداءه منعوه من النجاح، وهذا الصنف من الناس قد ضحك عليهم الشيطان، وهم يعيشون وهماً لا حقيقة له؛ فأذكاء العالم من المسلمين وغيرهم بلغوا النجومية ولم يعيشوا هذا الوهم، فالشافعي وابن تيمية وابن خلدون وابن رشد وسقراط وأنشتاين وإسحاق نيوتن أجبروا التاريخ على أن يخلّد أسماءهم ولم يشتكوا من الحسد والعين، ولكن المرضى بوهم الحسد هم أشبه بما قال غوته: إن الدجاجة حينما تقول قيط.. قيط وتريد أن تبيض تظن أنها سوف تبيض قمراً سيّاراً، ولكنها أُصيبت بالعين ففسد ببيضها، ورأيتُ الناجحين في مجتمعنا واثقين من أنفسهم قد شقّوا طريقهم إلى المجد بثبات في التخصصات كافة، ولكن الأغبياء والحمقى بقوا في آخر الصف بحجة أن الحسد والعين أصابهم ولم يصب غيرهم من اللامعين.

قابلتُ طالباً رسب في الجامعة مرات عدة فسألته: ما السبب؟ قال: محسود أصابتي العين، فقلت له: إخوانك الأربعة نجحوا بتقدير ممتاز وكانوا الأوائل وأنت الوحيد المحسود الراسب؟! لكن السرَّ أنك تركت المذاكرة وتغيَّبت عن الجامعة ونمت في الفصل وضيَّعت الكتب.

وبعض النساء رزقها الله ٣٪ من الجمال وتغطي وجهها عند أمها وأخواتها خوفاً من العين، الله أكبر يا فتاة الغلاف، وبعضهن حامل في الشهر العاشر وقد أخفت ذلك عن جدتها خوفاً من العين، وكأنها سوف تلد صلاح الدين أو طارق بن زياد، والحقيقة أن الشيطان قد لعب على الكثير منَّا خاصة الأغبياء والحمقى.

أما الأذكياء والعباقرة فقد لعبوا هم على الشيطان وانتصروا عليه ونجحوا؛ لأنهم لم يصدقوا الأوهام، ورجائي أن يخرج هؤلاء الموسوسون والموسوسات من زنزانة الوهم ويمارسوا أعمالهم على سجيَّتهم، ويربحوا الأمة من نشر أمراضهم النفسية المعتمدة على الوهم، وكلما رأيتُ بليداً فاشلاً وسألته: ما سبب هذا الإحباط؟ أجابني بأنه مصاب بالعين! فأقول له: من هذا الغبي الأحمق الذي أصابك بالعين؟ وما الذي أعجبه فيك؟ كيف ترك الموهوبين واللامعين يشقون طريقهم إلى الجوزاء وقصدك أنت؟! وإذا تساقط شعر امرأة بمرض حمى الوادي المتصدع ادعت أن

العين ألمّت بها والحسد دمّرها، وقد سلّم الله شعراً رأس بوران بنت الحسن بن سهل أجمل امرأة في الدولة العباسية.

وبعض الطالبات انزوت عن زميلاتهنّ بحجة الخوف من العين، وإذا لم يستطع طالب حفظ القرآن لإصابته بمرض جنون البقر زعم أن حارس المدرسة أصابه بالعين، وكيف توحدت بنا العين ونحن أهل الإيمان والقرآن، ولم تصب العين أعضاء وكالة (ناسا) الذين أنزلوا مركبة الفضاء هندرد (٦٦) على سطح المريخ؟ إننا باختصار (ضحيا الوهم).

فأريحونا من هذا الوهم وتوبوا من هذه الوسوسة واهجروا هذه الظنون ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.



صرخة فتاة

اشتكت فتاة وتظلمت ولم تجد سامعاً ولا مجيباً من الناس، ظلمها زوجها ثم طلقها وأخذ أبناءها الثلاثة وحرّمها رؤيتهم، ومنعها من النفقة، فذهبت لأهلها شاكية باكية متفجعة، فوجدت أباهم ضعيفاً عاجزاً أمام إخوانها الفجرة الجابرة الذين صبوا جام غضبهم على أختهم المسكينة الحسيرة الكسيرة المطلقة، وأرادت أن تذهب للقاضي فأقسم أحد إخوانها: لنذهب للقضاء ليجرّنها بشعر رأسها، فبقيت حائرة مظلومة حزينة لا يجفّ لها دمع، ولا تكتحل عيناها بنوم، ولا يسكن خفقان قلبها، أما نهارها فسب من أهلها وشماتة وسخرية، وأما ليلها فبكاء وعويل على أطفالها ومستقبلها، وأنين من جور زوجها وضعف أبيها وظلم إخوانها، فلا هي حيّة فتُرجى ولا هي ميتة فتُنسى، محبوسة في البيت تصارع الهموم وتقاتل الأحزان، وتبعث الآهات الحارة كأنها حمم البركان، وتتنهّد بالزفرات الملتهبة كأنها شهب نار، ما تدري ماذا تفعل، اتصلت ببعض العلماء فقالوا: اصبري واحتسبي، فصبرت واحتسبت، ولكن صبرها انتهى واحتسابها نفذ، وقد طوّقها اليأس، وأحاط بها الكرب، كلّمت بعض قرابتها فقالوا: اذهبي للقضاء، فأخبرتهم أنها لو ذهبت للقضاء لعذبها إخوانها عذاباً شديداً، فأصبحت لا يسمح لها أن تشتكي أو

تبكي، فما هو الحل أمام زوج ظالم، وأب مسكين، وإخوة عاقين، ومجتمع قاسٍ؟ أليس من الأجمل أن يقوم أهل الحل والعقد بمتابعة هذه القضايا وإخبار الناس بعناوين يمكن الاتصال بها لرفع هذه الضائقة وكشف هذه الملمة وتقديم هؤلاء الجناة العتاة الجفاة للعدالة؟ وفي الحديث الصحيح: "أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض"، فكيف بمن حبس امرأة وظلمها وحرمها أطفالها ومنعها من نفقتها بل منعها من الشكوى والتظلم، وبمثل هذه الأفعال يجف القطر من السماء، وتؤدب الأمة بسياط من البلاء وبنكبات خفية ومعلنة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

اسمعوا صرخات المظلومين، وافتحوا قلوبكم لأنين المضطهدين، وساعدوا في رفع السوط عن المعذَّبين، إن مسح دمعة على خد مظلوم أفضل من ألف محاضرة في الثقافة البالية التي أصابت الأمة بالدواخ والغثيان، وإن إشباع بطن جائع أفضل من مؤتمر للفكر العقيم، ومن أراد أن يتصوّر المشكلة فليجعل أمه أو أخته أو ابنته في هذا الموقف، ألا قلوب ترحم؟ ألا ضمائر تستيقظ؟ ألا أكباد تخفق؟ ألا عيون تدمع؟ في حديث قدسي يقول الله للظلمة العتاة: "وعزتي وجلالي لولا شيوخ رُكَّع، وأطفال رُضَّع، وبهائم رُتَّع، لخسفت بكم الأرض خسفاً".

وتبدأ معاناة بعض النساء مع أبٍ غشوم ظلوم أو أخٍ قاطع جبار أو زوج فاجر شرير، وقد تعيش المعاناة بسبب مالها أو راتبها وهي تُساوم عليه وقد تحرم الزواج بسببه، وقد عرفنا من رفض زواج ابنته؛ ليستولي على راتبها، وعرفنا من نكّل بها زوجها؛ ليحصل على مالها وأصبح يخيرها بين البقاء مع الدفع أو الفراق إن أبت ذلك، ومنهم من أمسك زوجته لا مطلقة ولا معلّقة؛ ليجرّعها الغصص وهي مضطرة للقبول بهذا الوضع المأساوي مراعاةً لأبنائها أو حاجتها أو وضعها الاجتماعي.

أيها المتقلبون على جمر الظلم، صبراً جميلاً، ودعوةً في سحر، وانتظاراً لفرج، وتذكراً لبقية نِعَم، ويا أيها الناس ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الراحمون يرحمهم الرحمن، ويل للظلمة من يوم لا حاكم فيه إلا الله، يوم تُقام محكمة العدل الإلهية، يوم العرض الأكبر، فانتظروا إنا منتظرون.



وجه (الدربيل) إلى نفسك

في قلب كل إنسان منا (دربيل) اسمه البصيرة، قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ، وهذا (الدربيل) إن أراد الله بك خيراً وجهته لنفسك، فاكتشفت به عيوبك، فأصلحتها وقومتها على الحق، وإن أراد الله بالإنسان خذلاناً سلط هذا (الدربيل) على الآخرين، وأهمل نفسه، فتجده ينقب عن عيوب الناس، ويبحث عن زلاتهم، ويجمع أغلاطهم، فهو كالذباب لا يقع إلا على الجرح كما في الأثر: "يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ولا يرى الجذع في عينه".

هل فرغنا من عيوبنا الكثيرة حتى نتفرغ لعيوب الناس؟ هل بقي لدينا وقت نشغله بتتبع أخطاء البشر؟ إن توجيه مصباح الله في القلب إلى نفسك نعمة كبيرة من نعم الله، معنى ذلك أنك اكتشفت عيوبك، وعرفت مواطن الخلل في نفسك. وفي الأثر: "طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس". ولكن المشكلة يوم تحمل هذا (الدربيل) لتضعه على أسرار عباد الله، فتفحص بعناية كل زلة وكل خطيئة، ومن يفعل ذلك يُسمى سبّاباً عيِّباً، لبيتنا نوجه (دربيلنا) إلى ذواتنا، ونترك الناس لرب الناس. اتركوا الخلق للخالق، ودعوا العبيد للمعبود. ليس مطلوباً منا مراقبة البشر فيما أضمره وأسرره من أخطاء، ولسنا نحن من نحاسبهم،

يقول الرسول ﷺ: "إني لم أؤمر أن أنقُبَ عن قلوب الناس ولا أشُقُّ بطنونهم". وهذه الجملة النبوية دستور مهذب في التعامل مع الناس، ولو عمل بها المسلمون لما رأيت من تفرغ ليحصي على الناس زلاتهم، ويؤلف في مناقبهم، ويجمع عثراتهم. واحسرتاه على من يحمل الذنوب، ويتلبس بالعيوب، ثم لا يعنيه ذلك، إنما شغله الشاغل بعيوب الناس وذنوب البشر. قيل لحكيم: أما رأيت فلاناً يصنع كذا وكذا من الذنوب؟ قال: ما تبت أنا من ذنوبي. واغتاب أحد الناس رجلاً في مجلس العالم الزاهد الربيع بن خثيم فقال له: تذكر سكرات الموت. أيها الباحثون عن زلات الخليفة! عدتم بالفشل، ورجعتم بالخيبة. أيها المكتشفون أخطاء الناس! حققتم الإفلاس، وأدركنتم سوء العاقبة. كان الواجب علينا إن رأينا عيباً في الآخرين أن نغض الطرف، ونتغابى أو ننصح، كما قال أبو تمام:

لَيْسَ الْغَيْبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ

لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

إن الإنسان الحقير يعيش تصيد الزلات ويفرح بعيوب الناس؛

لأنه كما قال الشاعر الشعبي:

مَا يَسْتَشْكُ يَا حُسَيْنُ كُودَ الرَّدِيِّينَ

وَالَا تَرَى الطَّيِّبَ وَسِيعَ بَطَانَتِهِ

يقول أحمد بن حنبل: التغافل تسعة أعشار حسن الخلق. قلت: لو سلطنا منهج التغافل مع الزوجة والابن والصديق والناس لعشنا الحياة السعيدة، فكيف إذا استعملنا قدراتنا العقلية من الذكاء والدهاء والألمعية في تشخيص أخطاء البشر، وعشنا مع أخطائنا بغباء وبلاهة؟ يقول ديل كارنيجي: عندي ملف في درج مكتبي عنوانه (حماقات ارتكبتها) أسجل فيه أخطائي؛ لأتلافها مع الزمن. وقال سفيان: لي ثلاثون سنة أجاهد نفسي في ترك عيب، وما زلت أجاهد. فيا أيها الإنسان! اجعل معك قائمة سوداء من عيوبك تراجعها بينك وبين نفسك، أما الناس فأطمئنك أنك لن تدخل معهم قبورهم لتحاسبهم، ولن تكلف بمناقشتهم على أخطائهم يوم القيامة، بل أؤكد لك جازماً أنك سوف تحاسب على اغتيابك لهم وكشف أسرارهم. إن الذي بيته من زجاج لا يحقُّ له أن يرمي بيوت الآخرين بالحجارة، كفى اشتغلاً بالآخرين على حساب أنفسنا. والشكر لأبي معاذ الرازي على قوله:

وغير تقيٍّ يأمر الناس بالتقي

طبيبٌ يداوي الناس وهو عليل

إن النّجار الذي ذهب يصلح أبواب الناس وبابه مكسّر أحق، وإن الخياط الذي يخيّط للآخرين وثوبه ممزّق أبله، والذي سلّط (دربيله) على تضاريس العباد وترك الحفر والمطبات في نفسه غبيّ مخذول.

كن هايبيل ولا تكن قابيل

من أراد أن يعيش سعيداً وأن يموت حميداً فليلقِ سلاح
العداوة وليجتث من نفسه شجرة الشر، ارفع رايتك البيضاء
معلناً العفو والصفح وسوف تجد القلوب تشيعك، والأرواح تحفُ
بك، والحب يحوطك أينما حللت وارتحلت:

مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ

ونام وهو قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ

كُنْ من فصيلة هايبيل حينما أقدم على قتله أخوه قابيل فقال:
﴿لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ
اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، دع الظالم يلقَ حتفه أو يسلط الله عليه أظلم
منه، واتركه للأيام والليالي، يقول المثل الصيني: "اترك عدوك
وقِفْ على شاطئ النهر فسوف تشاهد جثته تمر بك"، لا تحاول
فتح ملفات العداوات، لا تقم للناس محاكم تفتيش في صدرك،
لا تذهب حياتك الغالية في التربص بالآخرين والاقتصاص
منهم، كل دقيقة تصرفها في عداوة إنما هي كأس من السم
تتحساه، سوف تجد أن الحلم والعفو أقوى سلاح أمام أعدائك،
قال الأحنف بن قيس: والله لقد نصرني الله بالحلم أعظم من
نصر العشيرة، يقول أبو الطيب:

وَأَحْلَمُ عَنْ خَلِيٍّ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ

مَتَى أَجَزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدِمُ

إذا سلَّ أخوك في وجهك سيفاً فمد له وردة، إذا بات يخطط لاستئصالك، فتوجه أنت بالدعاء له أن يصلح الله قلبه، ويطهر ضميره، وإذا نالك خصم في مجلس بكلام بذىء سافل فأثن عليه وادع له، إن منطق القرآن يخبرك أن العظمة هي أن تحوّل العدو إلى صديق لا أن تحوّل الصديق إلى عدو ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ قال رجل لحكيم: غداً نتحاسب فقال له: بل غداً نتسامح، فلا تستكثر ألف صديق ولا تستقل عدواً واحداً ولو كان ضعيفاً، فإن البعوضة تدمي مقلة الأسد، وإن فاراً صغيراً خرّب سد مأرب.

إن أعمارنا أقصر من أن نصرفها في القصاص والانتقام، وإن معارك داحس والغبراء التي يقيمها الشيطان في قلوب بعضنا هي من مقررات مدرسة إبليس التي من أصولها: الظالم مهاب والمعتدي شجاع والحليم ذليل والمتسامح جبان، ولكن مدرسة الوحي تخبرنا بأصدق من ذلك ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، وفي الحديث: "صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاغْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ" إذا لقيت أحداً من الناس فابدأ بتصرفين جميلين: ببسمة وسلام، فالبسمة عنوان لكتابك، وهي دلالة على

رجاحة العقل وسلامة الطبع وكرم المعشر، والسلام عليكم ميثاق شرف وعهد وفاء معناه مصالحة لا حرب، ومسامحة لا عداوة. هل سمعت أن غضوباً شرساً حاداً كسب حباً أو بنى صداقة أو حاز ثناءً جميلاً، إنما الحب الصادق والحفاوة البالغة والإجلال الكبير للسمح الحليم والجواد الكريم الذي جلس بحبه على عرش القلوب، فحفّت به الأرواح وشيّعته النفوس، وطوّقته العيون، من أراد أن يكتب تاريخاً لنفسه من البر والإحسان فعليه بمسألة الناس ومسامحة الآخرين وكظم الغيظ والتجافي عن الزلة والصفح الجميل عن الخطأ ودفن المعاييب، فعليك أيها الإنسان السوي أن تتزع الغدد السامة من نفسك، وأن تضع السلاح من يدك، وأن تغمد سيف العدوان ونادٍ في الجميع:

أهلاً وسهلاً والسلام عليكمو

وتحيةً منا نرّف إليكمو

العالم سوف يكون جميلاً بلا عداوة والكون سوف يصبح أماناً بلا كراهية، والأشرار وحدهم هم الذين عكّروا صفو الحياة، ودمّروا بناء الإخاء، ومزّقوا ثوب المحبة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، ﴿هَمَّازٌ مَّشَاءٌ بِنَمِيمٍ﴾ وويل لكل حاقِدٍ شرير من سوء الذكر وضيق الصدر وظلمة القبر، وبشرى لكل كريم مفضل ولكل لئِن سهلٍ رفيق، إن الرجل الفاضل يكتب تاريخه بنفسه لجميل

سيرته وحسن تعامله، فلا ينتظر شكراً من أحد، وسوف يكون بعد موته قصة جميلة يتحدث بها الرواة في المجالس وتُنقل أخباره الجميلة على ألسنة البشر، إن ألسنة الخلق أقلام الحق، فاحذر أن تذكرك هذه الألسن بسوء أو توقّع عليك هذه الأقلام بقبیح.



دعوة لتطبيع العلاقات

أدعو الأمة إلى تطبيع العلاقة مع كل أحد إلا مع الشيطان وإسرائيل، نحن بحاجة إلى تطبيع العلاقة بين الحاكم والمحكوم والرئيس والمرؤوس والأستاذ والطالب والأب والابن والزوج والزوجة، نحن نفتقر إلى مصالحة اجتماعية وميثاق شرف أخوي يكون أصلاً للتفاهم فيما بيننا؛ لأن في الأمة صراعات فكرية وحزبية ومذهبية وقبليّة وجهوية حدثت يوم نسيت الأمة رسالتها الربانية العالمية رسالة الإيمان، فالحكام يوجهون اللوم للشعوب في الخروج على الطاعة وإثارة الفتن والشغب، والشعوب ترى أن الحكام أهل استبداد وقتل للحريات ومصادرة للحقوق، والمتدينون طوائف، كل طائفة ترد على الأخرى وتجمع مثالبها وتذكر معاييبها، والمتقفون يتراشقون بالتهم بين إسلامي وليبرالي وعلماني وحدائي، والعوام مشغولون بمدح القبيلة وذكر مآثرها ومناقبها وأمجادها التي ما صنعت طبشورة، وبعض الرجال يرون أن المرأة أخذت أكثر من حقوقها وتعدّت طورها وأجحفت بحق الرجل، وبعض النساء يصرخن من ظلم الرجل وقهره وجفائه وقلة وفائه، والأستاذ يرى في الطالب قلة الأدب وعدم المبالاة مع الإهمال، والطالب يرى في الأستاذ الشراسة وضحالة المادة وقلة الأمانة، فأصبح المجتمع يتراشق بالتهم والردود، ومن يقرأ صحفنا يجد مئات

الأعمدة كلها ردود وانتقام وقصاص، وبيانات متضاربة كل يكذب الآخر ويتهمه ويستعدي عليه، مرة السلطة وأخرى المجتمع فإن لم ينفع دعا عليه، فإن لم يجد توعدّه بنار جهنم وسوء المصير. يا دعاة التطبيع مع القتلة من أحفاد بن غوريون وطلاب موشى دايان والأفاقيين وشذاذ العالم دعونا من هذا التطبيع القبيح، وتعالوا إلى التطبيع الجميل الراقي بين أبناء الأمة الواحدة، تعالوا نتسامح ونتصافح ونتناصح ويعفُ بعضنا عن بعض ونتمثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

أوقفوا بيانات التشنيع والتجريح، أغلقوا محاكم التفتيش عبر الصحف ومواقع الإنترنت، أغمدوا الألسنة الطويلة البذيئة عبر القنوات والمنابر الإعلامية، تعلموا من أدب الوحي، يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ توبوا من الهمز والغمز واللمز؛ لأن هذا شأن الخسيس الذليل التافه الحقيير الساقط الأرعن الجبان ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، نريد من العقلاء والعلماء والأسوياء أن يسمعونا كلمة طيبة وجملة مفيدة وعبرة حلوة مشرفة، يقول ﷺ: "الكلمة الطيبة صدقة"، قبل أن تتهمني حاورني، وقبل أن تحاكمني اسمع مني، وقبل أن تفضحني انصحنني، وقبل أن تشنقني امنحني فرصة لأدافع عن نفسي، لقد أمطرنا صباح مساء بدعاة التطبيع مع إسرائيل، لكنهم في المقابل يستحلّون السخرية بإخوتهم والتهكم برسالتهم والاستهزاء

بأمتهم حتى صدق عليهم قول الشاعر: (أَسَدٌ عَلِيٌّ وفي الحروب
نعامة)، نحن بأمس الحاجة إلى سلم اجتماعي ومصالحة
وطنية شاملة تبدأ من رأس الهرم إلى الرجل البسيط، بيننا
فجوة اجتماعية، عندنا قسوة في التعامل مع من خالفنا، فبعض
أهل العلم إذا أراد أن يرد على عالم خالفه شنع عليه وشهر به
واستعدى عليه الناس، فتجد عبارات: فاسق، زنديق، كافر، ضالّ،
مبتدع، وبعض المفكرين يثير قاموس الشتائم على من اعترض
عليه، فهو يصف خصومه من الدعاة بمتزمت ومتطرف وخارجي
وإرهابي ومتعصب، وبعض الفئات حجرت لأنفسها مقاعد في
الجنة وأغلقت أبواب الجنة الثمانية عن الآخرين، والويل لمن
يطمع في الجنة بعد هذا.

بعد أن كنّا خير أمة أُخرجت للناس صرنا نتقاتل ونهاجي
ونتطاحن فيما بيننا، فالعراقي يقتل العراقي، والفلسطيني
يذبح الفلسطيني، والصومالي ينحر الصومالي، والأفغاني
يمزق الأفغاني، ومن نجا من القتل لم يسلم من السب والتّخوين
والسخرية، إذّا فنحن أحوج ما نكون إلى مد جسور الإخاء
وتطبيع العلاقة ونزع فتيل العداوة واجتثاث شجرة الشر ونبذ
الكراهية.



ابتسم

كل من لا قيت يشكو دهره

ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

هذه الدار مشوبة بالكدر، ممزوجة بالهم معروفة بالنكد
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، وكل عاقل وعالم وأديب وفيلسوف
يقدم لك وصفة في مواجهة أحزانها ومصائبها، فأبو الطيب
المتنبى يقول لك:

لا تَلَقْ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ

مادامَ يَصْحَبُ فِيهِ رَوْحَكَ الْبَدَنُ

فهو يدعوك لعدم المبالاة ومواجهة الأمور بعدم اكتراث، ولكن
إيليا أبو ماضي يدلّك على التّبسم في وجه الحوادث:

قال: الليالي جرّعتني علقما

قلت: ابتسم ولئن جرّعت العلقما

إذاً ابتسم أمام كل أزمة وعند كل مصيبة ومع كل ألم؛ لأن
التّحسر والبكاء والندم لا يجدي، لكن التّبسم إعلان للانتصار
وإظهار للظفر وتعزية للنفس وإثبات للصبر ورضا بالقدر واعتراف
بالواقع، يوم مات ابنك فبكيته هل عاد؟ يوم خسرت المال فتأسّفت
هل رجع مالك؟ قهرت العدو فصرخت وضجرت فهل انتصرت
عليه؟ إذاً لا تحوّل المصيبة إلى مصيبتين، ولكن عند الأزمة

اصنع من الليمون شراباً حلواً، وقد حفظ لنا التاريخ عظماء
صارعوا الأحداث وعاركتهم الملمات وهم يتبسّمون في عين
العاصفة ويضحكون في وجوه الخطوب، كما قال أبو الطيب
لسيف الدولة:

وَقَصَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِّوَاقِفٍ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
تَمْرُبُكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَى هَزِيمَةٍ
وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَغْرُكَ بِاسْمُ

ولما مات ابن الفضيل بن عياض ضحك الفضيل فقال له
أصحابه: ما لك؟ قال: ليعلم ربي أنني رضيتُ، ولما وقعت الهزيمة
في أحد على المسلمين وكثر القتل والجراح في المؤمنين قال
الرسول ﷺ لأصحابه: "صَفُّوا ورائي لأُثْنِيَ عَلَى رَيْي" بل إن
بعضهم كان يقابل النوائب بالنعاس وقد جعله الله حلاً للمؤمنين
فقال عنهم في أحد: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ وكان مع
الحجاج ابن يوسف ثلاثة آلاف مقاتل، ومع شبيب الخارجي
ستون فارساً، فأخذ شبيب من قوة قلبه ومضاء عزمته ينعس
على بغلته ثم دارت الحرب، فانتهصر على الحجاج وهزم جيشه
وطاردت زوجته غزاة الحجاج بجند قليل معها حتى خرج من
قصر الإمارة فقال الشاعر يهجو الحجاج:

هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَاةٍ فِي الْوَعَى

بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ

رِيْدَاءُ تَجْفَلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

إذاً ليس لي ولك من حل أمام أي معضلة أو نكبة إلا التَّبَسُّم

إذا لم تستطع النوم والنعاس.

إن في الناس عظماء وصابرين يتبسّمون عند كل ملّة ومع

كل مصيبة، وهم أهل الرضى والأمن الداخلي والإيمان القوي،

إنهم أصحاب القلوب الكبيرة منهم المقعد على كرسيه الذي يوزع

البسمات على الجمهور، ومنهم المريض من سنوات على السرير

الأبيض الذي تزين وجهه بسمة الرضى، ومنهم من خسر ثروته

فسلّم للقدر وتبسّم أمام الأمر الواقع، أيها الراضون بقضاء الله،

أيها المتبسّمون عند الخطوب ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى

الدَّارِ﴾.



ضحايا التقليد الأعمى

الأمم المغلوبة تقلد الأمم الغالبة، هذا ما قرره رائد علم الاجتماع ابن خلدون، وهي نظرية معتبرة وقد تحققت في أمتنا الإسلامية في هذا العصر، وهي تعيش الغنائية والهامشية في كثير من نواحي الحياة، وليت بعض شبابنا الذين قلّبوا الغرب كانوا قلّدوهم في الصناعة والإنتاج والإبداع، ولكنهم - للأسف - قلّدوهم في بعض الصور الباهتة البائسة كقصّة الشعر عند مايكل جاكسون، والعزف على الناي وفن أكل الهامبرجر والشّره في تناول البيتزا، وكما قلت في أرجوزة أمريكا:

منهم أخذنا العود والسجارة

وما عرفنا نصنع السيارة

استيقظوا بالجد يوم نمنا

وبلغوا الفضاء يوم قمنا

وليت عدوى العمل والإنتاج والتقدم المادي انتقلت إلينا نحن معشر العرب من الغرب، ولكنه قفز إلى الشرق وتركنا في الوسط، وذهب إلى الصين وسنغافورا وماليزيا وبقينا في الوسط العربي نحافظ على التراث الشعبي وكل منّا بيده هراوة يؤدي عرضة قبيلته، ويُشدد بافتخار: (القبيلة عزوتي يا عمي عين الحسود)، وما أدري من هو هذا الحسود الغبي الأحمق

الذي أصابنا بالعين ولم يُصب بعينه المشؤومة المعامل والمصانع والتكنولوجيا في الشرق والغرب، لكن الذي يعيش الوهم يبدع في الخيال الخصب ويتحدث عن إنجازاته الوهمية بإسهاب.

إن بعض شبابنا أراد أن يثبت لنفسه التمدن الحضاري والتطور فعلق سلسلة على صدره وشدَّ الجنز على خصره وجعل على رأسه قبعة تحتها قصة شعر وهي آخر موضة في (هوليود)، ليت شبابنا أعفوا أنفسهم من هذه القشور وأراحوا عقولهم من هذه التفاهات، واتجهوا إلى حياة الجد والعمل والمثابرة، إن الحياة قلب واع وضمير حي ولسان صادق وقلم حكيم وريشة موحية وساعدٌ مثابر، وليست الحياة خيال هائم ولا شعْر مائل ولا تقليد أجوف ولا تصرفات رعناء ولا محاكاة بلهاء، وعجبي لا ينتهي ممن يمطرنا صباح مساء بقصائد في مدح الغرب ومقامات الثناء على الحضارة المادية ثم لا تجد في حياته من آثار هذا التقدم والحضارة إلا الأكل بالشوكة والملعقة وتناول الوجبة على موسيقى (بتهوفن)، لم الارتواء في أحضان الغير والاستخزاء للآخر ونحن أصحاب أعظم رسالة عرفها الكون وأحفاد مَنْ أسس أروع حضارة شهد لها التاريخ، ومن كان في شك من ذلك فليسأل بطاح مكة ومنابر بغداد وميادين دمشق ومقاصير القاهرة ومتاحف الزيتون والقيروان ومغاني الزهراء والحمراء:

يَوْمٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ تَصْنَعْ أَشْعَثَهُ

شَمْسُ الضُّحَى بِلِ صَنْعَانَاهُ بِأَيْدِينَا

الأرض بتتكلّم أردو

يهدد الخليج طوفان جارف من العمالة الآسيوية السائبة والمنظمة التي استولت على سوق العمل، وغيّرت لهجات سكان الوطن، فأصبح الخليجي يرطن للعجم بلغتهم، وصار المواطن يبحث عن عمل ولو في سيارات الأجرة وبيع الخضار، فإذا بالسوق كلّه يعجّ بالأردو والبشتو، وصاحب الشركة والعمل يقدّم العمالة الوافدة لرخص أجرتها، ولأن المواطن في الغالب يعمل بشروط وقيود، والواجب علينا أن ندرس الأخطار المستقبلية لهذه السيول البشرية من العمالة الوافدة؛ لأنهم يشكّلون قبلة موقوتة قد تدمّر الدولة في الخليج، وفي جدة بالسعودية مثلاً عمالة سائبة هاربة تشكل خلايا نائمة تنتظر من يشعل لها الفتيل لتأتي على الأخضر واليابس، ومن درس التاريخ باعتبار عرف ذلك كما حصل في عهد المعتصم، لما غلب العنصر الوافد على العنصر العربي، وكذلك الخليفة المتوكل حتى وقعت دولة بين العباسية في الأفشين وأشناس وجوهر وغيرهم، وفي الخليج مئات الألوف من المواطنين العاطلين عن العمل مستعدون للعمل كسائقين وخبّازين ونجّارين (وبنشريين) وخيّاطين، وهذه أعمال شريفة؛ لأن كل عمل يحفظ ماء الوجه فهو عمل نبيل شريف، وكان أنبياء الله يعملون في أعمال فاضلة، كان نوح نجّاراً، وداد

حدّاداً، وإدريس خيّاطاً، وما من نبي إلا رعى الغنم، ولكن عندنا شباب أهلكهم الكبر والفقر كما قيل: (حشفاً وسوء كيلة)، وقالت العامة: (أعمى ويناقر) وما علموا أن عرق العامل أزكى من مسك العاقل، وأن فأس الفلاح أشرف من وتر الهائم، وأنا أشكر شباباً ألقوا رداء الكسل، وودّعوا الأمانى، واتجهوا للأعمال لأنهم يعلمون أن قيادة (التكسي) في طلب المعيشة أشرف من حمل ملف الشحاذة والوقوف على باب تاجر شرس عابس الوجه صفر من الخير.

وأصل المشكلة في العمالة الهاربة السائبة والوافدة أن الكثير يغلب عليهم الجهل والتلبس بمخالفات كبرى كالسحر والشعوذة وتعاطي المخدرات والترويج للسلب والنهب، وهم يشكلون طابوراً منظماً قابلاً للانقضاض في الوقت المناسب كما حصل لثورة الزنج في بغداد في القرن الثالث، وكما حصل في ثورة العيّارين والحشّاشين في القرن الرابع، والتاريخ يعيد نفسه، ومن أنذر فقد أعذر.

ليتنا ننشئ معاهد للتدريب على أعمال الفنادق والخدمة وسائر الحرف من نجارة وسباكة وخياطة، وننفض عن الجيل غبار الوهم والكسل الذي سبب لهم القلق والقهر النفسي والانهيّار العصبي، ونقتصد في الحفلات الشعبية والإسراف في ذبح البقر والجمال والخراف وختم ذلك برقصات يعلن فيها الشاعر تفوّق قبيلته على كل القبائل، وأنها بلغت الجوزاء شرفاً

وفخراً، وأنها حجبت الشمس بسيوفها، وهذا كله كلام فارغ؛ لأن كثيراً من أفراد القبائل لم يحفظ ثلاثة أحاديث، ولم يقرأ عشر صفحات من كتاب نافع، ولو سألتهم عن أحكام سجود السهو أو السنن الكونية في الأمم أو أخبار الدول أو بيت حكمة أو مثل شارد لما أجابك بحرف.



ودّع همومك

ينبغي على من أراد السعادة في حياته أن يتخذ ثلاثة قرارات مصيرية ويعمل بها لكن بحزم وإصرار.

القرار الأول: نسيان الماضي بأن يغلق على ملفات الماضي في زنزانة الإهمال والإغفال، فلا يفتحها أبداً، ولا يقرأها مطلقاً، ولا يتذكر أي مصيبة أو مأساة أو كارثة مرت به، وكأنه وُلد اليوم، فليس له علاقة بأمس الذاهب، الذي مات وكُفّن رحمه الله؛ لأنّ تذكُّر الماضي حُمق وجُنون، ولا يمكن أن يصلحه دمع أو عويل أو تحسر وأسف؛ فلماذا إعادة عقارب ساعات الزمن، وإخراج الأموات من قبورهم، ونشر النشارة وطحن الطحين، وهذا ما يفعله من يتذكر أحداث الماضي.

القرار الثاني: ترك المستقبل حتى يأتي بحيث لا تشغل ذهنك بالأيام القادمة، فقد لا تصل إليها أصلاً، فأنت حينما تعيش في المستقبل معناه أنك تصارع الظل وتقاتل الأشباح، وفي المثل الياباني: (لا تعبر جسراً حتى تأتيه)، وهذا صحيح؛ فقد لا تصل إلى الجسر أصلاً، وقد ينهار قبل أن تصل إليه وقد تعبره سالماً، والاشتغال بالمستقبل وترك الحاضر معناه ضياع الفرصة الوقتية الحاضرة في العمل والإنتاج، وليس معنى هذا الكلام عدم الاستعداد للمستقبل؛ لأن الناجح في يومه هو المستعد حقيقة لمستقبله.

القرار الثالث: (عِشْ في حدود يومك) فتعتقد اعتقاداً جازماً أنك لن تعيش إلا هذا اليوم، وأن حياتك يوم واحد فقط فتخطط لهذا اليوم، وتعمل له وتملأه نجاحاً وفلاحاً وصلاحاً وتجتث من نفسك شجرة الشر، وتستل من قلبك عقارب السموم والهموم والأحزان، وتحرص على الاستفادة من كل دقيقة في هذا اليوم الذي هو ملكك فقط؛ لأن الماضي ذهب إلى غير رجعة، والمستقبل في عالم الغيب وهو غير مضمون كما قال الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيبٌ

ولك الساعة التي أنت فيها

إذا فاكتب على جدار قلبك عبارة (يومك يومك) وإن كتبتها في مكتبك فحسن جميل حتى تعلم أنك لن تعيش إلا يوماً واحداً، وفي الحديث: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء"، يقول زميلي وصديقي أبو الطيب المتنبي:

لا تَلَقْ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ

مَادَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رَوْحَكَ الْبَدَنُ

فَمَا يَدِيمُ سُرُوراً مَا سُرِّرَتْ بِهِ

وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ

وسلامتكم.



أين عشاق البيان؟

كيف يتذوق جماليات البيان في القرآن العظيم من صار عقله كالفول السوداني المدمس، بسبب التخمّة والسهر على (افتح يا سمسم)، وقراءة الغثيان الفكري والسّفه المعرفي والأدب الرخيص للمراهقين عقلياً، تدبر القرآن يحتاج إلى عقول عظيمة وضماير حية؛ لأنه كلام عظيم باهر يأخذ بالألباب ويذهل العقول حتى قال عنه الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ هذا وهم جن.

إن من معالم عظمة القرآن بيانه الخلّاب الجذّاب وأسره ودمغه للخصوم، وسموه وجلاله وأخذه بمجامع النفس واستيلاؤه على منافذ الروح، وكم قرأ رواد البيان وأساطين الأدب من رواية وقصيدة ومقامة وملحمة وإلياذة، ثم قرؤوا القرآن فأعلنوا كلهم الانبهار والإذعان والتسليم لهذا الفيض الرباني والجلال البياني، واسألوا الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني والراغب الأصبهاني والزمخشري وغيرهم، بل إن كفار قريش وقفوا حائرين أمام قواصف وعواصف وقذائف القرآن، ولا بد من أن نلتمس لجيلنا الحاضر العذر في هذه الغيبوبة والغفلة عن مواضع الجمال في كتاب الله، والمشغول بشدّ الجنز، وركوب البنز، وجمع الكنز، كيف يتفرّغ لتسريح النظر في حدائق القرآن ذات البهجة، ومتى يتلذذ بمشاهدة خمائل القرآن الزاهية؟ وإذا أردت أن تعرف

المستوى الثقافي الهابط للعرب فانظر لركاب الطائرة والحافلة، تجد الغالب لا يقرؤون، ومن يقرأ يطالع أخبار العقار وأسعار الأسهم ويتابع الموضة، فهل وجدت فيهم من يشاركك المتعة الذهنية والعشق البياني لهذا القرآن العظيم، هل تظن أنك سوف تطالع في حياتك أبهى وأبهر وأبهج وأسمى من هذا الكلام الباهر المفعم المعجز؟

كيف نريد السمو الحضاري والرقى المعرفي وبعض مثقفينا يتبجح بطلاسهم من الأدب الرمزي ليظهر تفوقه الثقافي وينظر إلى القرآن على أنه كتاب ديني تراثي قديم، والله لا أشعر بتهافت كلام الناس ورخص أقوال البشر إلا حينما أتغنّى بآيات محكمات أو أسمع لقارئ جميل الصوت ليزلزل أعماق النفس بهذا الذكر الحكيم، ثم طالعت كلاماً لرموز الإصلاح والعلم فإذا هم مبهورون بهذا الكلام الأسر الأخاذ، وقد كتبوا شهاداتهم كما فعل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد إقبال وعبد الحميد بن باديس والطاهر بن عاشور وابن سعدي والبشير الإبراهيمي وغيرهم، كلهم أعلنوا وقوفهم خاشعين أمام روعة وجلال وسلطان القرآن.

لقد سمع الوليد بن المغيرة أحد أساطين الكفر أول سورة فصلت فاندesh وانهر وقال: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمورق وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه. وهذه شهادة عدو فكيف بالصديق المحب؟

وأنا أطلب القراء أن يتفضّلوا علينا بخمس دقائق من وقتهم ليقروا أحدهم في خشوع وترنم وتغنٍّ سورة الجن ثم يخبرنا بمشاعره وماذا وجد؟ أما الذين لا يبهرهم جمال الحرف، ولا يتذوقون حلاوة الإبداع، ولا يحسون بأسر البيان ولا بسحر الفصاحة فيكفيهم التجوال في سوق الخضار كما قال البحتري:

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَعَادِنِهَا

وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ



اللغة العربية في خطر

اللغة العربية أكثر لغات الأرض مفردات وتراكيب، وهي لغة العلم والفن والعقل والروح، والصوت والصورة، ولكنها اليوم في خطر أمام مد التغريب الزاحف، والعامية الجارفة، فكثير من العرب يفخر بغير لغته، حتى صار من الموضة عند كثير منهم الرطانة بالإنجليزية والتباهي بترداد مفرداتها، ومن سافر من العرب إلى الغرب عاد يرطن بكلمات عدة ليوهم الناس أنه قد عاد بثقافة الغرب وحضارتهم وكأنه الدكتور أحمد زويل أو البروفسور زغلول النجار بينما تجده كان ماسحاً للسيارات في شوارع لندن أو نادل مطعم في تكساس، والعربية مهددة بلغات العمالة الوافدة إلى بلاد العرب وبالأخص الخليج العربي؛ فالأرض تتكلم أوردو أو بشتو ولغة التاميل حتى صارت المربيات يلقن أطفالنا لغاتهم على حساب لغتنا فضعفت لغتنا أمام هذا السيل الطاغى من اللغات الوافدة، وتهدد العربية أيضاً باللهجة العامية، فأكثر الأشعار الآن باللغة المحلية وهي لغة بلدية محلية دارجة سوقية ويعقد لشعرائها مسابقات وجوائز ثمينة بينما شعراء العربية أكلتهم الوحدة والإهمال والتجاهل.

وزاد الطين بلة قيام وزارات التربية والتعليم في الدول العربية بتدريس العلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وأصل

هذه العلوم كان بالعربية في عهد الفارابي وابن سينا وابن النفيس وجابر بن حيان، فضعف فُهم الطالب لهذه العلوم ونسي لغته العربية الأم.

واليوم أصبح من الواجب على كل عربي غيور أن يهبّ لحماية لغته من الفناء وينقذها من الموت، كل في حقله وتخصصه، فأهل التربية والتعليم والمفكرون والمثقفون والأدباء ورجال الإعلام هم المسؤولون عن العربية أمام الله ثم الأمة والتاريخ، وكما قال أبو منصور الثعالبي : من أحب الله أحب رسوله ﷺ، ومن أحب رسوله أحب القرآن، ومن أحب القرآن أحب العربية؛ لأن القرآن نزل بها. ومن الشرف العظيم والمجد المنيف لهذه الأمة أن كتابها عربي ونبيها عربي، ولكن المتسولين على أبواب الأجني والمتطفلين على موائد الغير يرفضون هذا الشرف ويفرون من هذا المجد، والحل أن تتبنى الحكومات العربية ميثاق شرف حماية العربية، وأن تلتزم بالعربية لغة رسمية في كل شؤونها كما فعلت كل أمم الأرض، ويُعلم الجيل لغته الأم، ويُوقف في وجه كل دعوة للتغريب والتشويه والعامية لنحافظ على هويتنا كعرب اختارنا الله للرسالة الخاتمة والدين العظيم والملة السمحاء.



بشروا ولا تنفروا

بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا، هذا كلام الرسول المعصوم عليه السلام، إعلان صريح وخطاب واضح موجّه لحمة الإسلام، معناه التبشير بالدين الجديد والتيسير على الناس وعدم تنفيرهم بالغلظة والفظاظة بل دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وتذكيرهم برحمة أرحم الراحمين.

إن العلماء والدعاة وحمة الإسلام هم رسل سلام ورحمة في الحقيقة، فإذا خالف أحدهم هذا المنهج، وأصبح ينفر الناس بشدته وقسوته ويقنطهم من رحمة الله، فإنما لخلل في نفسه هو، وإلا فإن رسالة الإسلام رسالة حب وسلام ورحمة وهداية، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ولهذا أنهى إخواني من الدعاة الذين يهدّدون الناس بخطبهم ويتوعّدونهم وكأن الرحمة والعذاب بأيديهم، والبعض يتكلم للناس بمثالية وتعال، وكأنه في برج عال، أو من فصيلة أخرى لا يذنب ولا يخطئ، والله يقول: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾.

لماذا لا نعترف بإنسانيتنا وقصورنا وعجزنا؟ ولماذا لا نخاطب الناس على أننا مثلهم وهم مثلنا، كلنا بشر نصيب ونخطئ، نذنب ونستغفر، ننجح ونخفق، لا أحد منا يملك الوصاية المطلقة على الإسلام، ولا أحد منا هو الناطق الرسمي الوحيد باسم بالدين،

فليس عندنا في الإسلام (بابا) ولا (ماما)، كلنا أهل رسالة ربّانية عالمية هي رسالة سلام وإخاء وبشرى وهداية ورحمة، لا أحد أذكى ولا أطهر ولا أنبل ولا أكرم من محمد ﷺ، ولهذا ذكره ربه بالأسلوب الجميل في الدعوة فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

إن كلمات الوعيد والتهديد في الموعظة والتنفير والحِدة المتناهية معناها أن المتكلم لم يفهم إلى الآن مقاصد هذه الشريعة المحمدية، فهو يتكلم على حسب طبيعته المركبة من الفظاظة والغلظة والقسوة، فأخذ يعبر عن الإسلام لكن بفكرته التشاؤمية السوداوية، وكيف يصغي لخطابنا من نخبره أنه شرير وأن الله لا يغفر له، وأن النار تنتظره ونمطره صباح مساء بالويل والثبور وعظائم الأمور؟ مع العلم أن الكتاب والسنة بشراً بالتوبة واللطف من الله والرحمة الواسعة والمستقبل الجميل والمنقلب الحسن ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

إن مفاتيح الجنة بيد الله وحده جل في علاه، وهو الذي خلقنا من تراب وعلم ضعفنا، وهو غني عنا، ومع ذلك دعانا بالرفق واللين ووعدنا رحمته وهو أرحم الراحمين، فكيف يأتي بعضنا يستعرض علينا قدراته البيانية، وملكاته الخطابية، ويحاصرنا بالتبكيك والتأنيب والتسفيه والتجهيل؟ وفي الحديث الصحيح

أن رجلاً عابداً نصح أحد العصاة فلم يستجب له العاصي، فقال العابد للعاصي: والله لا يغفر الله لك، فقال الله تعالى: من الذي يتألى عليّ؟ أشهدكم أنني غفرت لهذا العاصي وأحببتُ عمل هذا العابد.

إذا أيها الإخوة الفضلاء دعونا نقدم بشرى للناس لهذا الدين الخاتم، ونجعله حلاً لما سيهم ومشكلاتهم؛ لأن رسوله الكريم ﷺ جاء كما وصفه ربه ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، فمهمته إزالة العُسر والمشقة والعنت وإدخال السرور والأمن والرضا والسكينة، إن ديننا العظيم بريء من كهنوت الكنيسة التي تدعو إلى قتل الإنسانية في الإنسان، وتحريم ما أحله الله، ونسف مباحج الحياة وإلغاء إشراق الروح، ولهذا قال الله عنهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾، فديننا غذاء للعقل وزاد للروح ومتعة للعاطفة، ورسالتنا حياة للجسم ونور للقلب وسعادة للدنيا وفوز في الآخرة، وإصلاح للفرد واستقامة للأمة، فهو توازن بين الحقوق والواجبات، والفرائض والنوافل، والمكاسب والمواهب، والأخذ والعطاء؛ لأنه نزل بميزان العدل ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ فلا بد لمن يدعو للهداية من أن يفهم دين الله، وأن يتفقه في شريعته سبحانه ليدعو إلى الله على فهم عميق كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

أوقد شمعة ولا تلعن الظلام

الذكي الموفق يحوّل خسائره إلى مكاسب، طُرد الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة؛ فأنشأ دولة عادلة ملأت سمع الزمان وبصره، سُجن ابن تيمية فكتب في السجن ثلاثين مجلداً من العلم النافع، وُضِع السرخسي في بئر معطلة تحت الأرض فألف كتاب المبسوط في عشرين مجلداً، أقعد ابن الأثير فصنّف جامع الأصول أنفع كتاب في الحديث، تعطلّ عطاء بن أبي رباح عن المكاسب الدنيوية لأمرضه وضعفه فجلس في الحرم ثلاثين سنة يتعلم العلم فصار عالم الدنيا، أصابت الحمى أبا الطيب المتنبّي فأرسل للعالمين قصيدته الرائعة الذائعة:

وَزَائِرْتِي كَأَنَّ بَهَا حَيَاءً

فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ

وعمي طه حسين فواصلَ دراسته حتى نال العالمية، وبُيرت رجل الزمخشري فلزم بيته يقرأ ويصنّف فصار أعجوبة الدهر، إذاً استثمر الوجه الآخر للمأساة، وانظر إلى الجانب المشرق للمصيبة، وحاول أن تصنع من الليمون شراباً حلواً، وتكيّف مع ظرفك القاسي، واعلم أن العظماء إنما شقّوا طريقهم إلى المجد على الجمر وعلى الشوك والتعب والمشقة؛ لأن طريق الراحة التعب، والتفوق والانتصار قطرات من الدموع والآهات والدماء والعرق،

أما الإخفاق والهزيمة فإنها كبسولات مسكّنة من الفشل والكسل والتسويف والإحباط والراحة، فإذا واجهتك أزمةٌ وصدمتك مأساة فلا تقابلها بالعويل والثبور والبكاء والتّحسر بل واجهها بالاحتساب والصبر والإصرار على الانتصار والثبات والاستمرار.

إن العباقرة في الغالب لم تكن ظروفهم مهياة ولا النعم لديهم مكتملة ولا الوسائل متاحة، فمن عنده مالٌ ليس لديه صحة، ومن رُزق ذكاءٌ خسر الثروة، ومن مُتّع بسمعه قد يفقد بصره، فحال الدنيا عدم الاكتمال، فلو أن الدنيا تمّت لكل أحد من العز والمال والصحة والجاه والسرور والأمن لصارت جنةٌ ولما كان في الآخرة جنةٌ ثانية، لكن هذه الدنيا (من سرّه زمنٌ ساءته أزمان) فلا تنتظر أن يصفو لك العيش، وتسالمك الأيام، وتُتاح لك الفرص وتُفرش لك طريق المجد بالورود، ولكن انطلق بما أعطاك الله من موهبة ونعمة ووظفها أحسن توظيف، واجتهد غاية الاجتهاد، وإذا ضحكك الليل فلا تلعن الظلام ولكن أوقد شمعة، وإذا تعطلت بك سيارتك فلا تُلقِ خطبة رنانة في سبّ من صنعها، أو الطريق الذي مشيت عليه، ولكن أصلحها وواصل السير، وإذا تتكرّر لك صديق فلا تنظم فيه قصائد الهجاء وتضيّع وقتك، ولكن ابحث عن صديق آخر أو عش وحيداً، وكن كالنملة تحاول الصعود ألف مرّة ولا تؤمن بالإحباط أبداً، وكن كالسيل إذا وُضعت في طريقه

صخرة انحرف ذات اليمين وذات الشمال، الفرص أمامك كثيرة
والأيام المشرقة تنتظرك، والانتصار حليفك إذا بذلت واجتهدت
وتوكلت على الله، لا تعترف في الحياة بالهزيمة أبداً وقاوم إلى
آخر نفس من حياتك؛ فإن أبا الريحان البيروني بقي يدرس
حتى في يوم وفاته، وأبو يوسف القاضي يناقش طلابه وهو
في سكرات الموت، وابن سينا يكمل مصنّفه والموت يدبُّ في
أطرافه؛ لأن الحياة لا تعترف بالخاملين الكسالى، والدهر لا
يصفق للفاشلين، والمؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن
الضعيف، قال شوقي:

وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِّي

وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غَلَا

وقلت أنا (وأعوذ بالله من كلمة أنا):

كُنْ أَحْمَرُ الْعَيْنِ إِنْ الْمَجْدُ مَنْتَهَبٌ

وَكُنْ فَدِيْتُكَ مَرْجُوءاً وَمَرْهُوباً

لم ينفع الشاة في الدنيا سكينتها

والليث ما ضره أن ليس محبوباً



اخلع النظارات السوداء

التشاؤم هو مادة من مقررات مدرسة الشيطان، وقد حذرنا الله تعالى من ذلك فقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فإذا أوحى لك نفسك الأمارة بالسوء بأنك سوف تفشل وتخفق وتفتقر غداً وبأنك في المستقبل سوف تُصاب بمصيبة وتقع في كارثة فهذا كله كذب وأراجيف، ومشكلتنا أننا إذا خلونا بأنفسنا انتقلت بنا النفس إلى الخانة السوداء، فحدّثتنا عن الآلام والمصائب، والأوجاع والنكبات، ولكن للأسف لا تنقلنا إلى خانة التفاؤل ولا تخبرنا بما عندنا من النعم، وما حققناه من النجاح وما أحرزناه من التفوق والانتصار، فتجد الكثير منّا يفكر في المفقود ولا يشكر الله على الموجود، ويبقى عمره ينتحب على فقد ولد أو ولدين، ولكنه لا يفرح ببقاء العشرة من أبنائه، وتجد البعض يتحسّر لأنه سوف يمرض غداً، ويتأسّف لأنه سوف يفتقر بعد سنة، ويتحسّر لأنه سوف يموت بعد ستين عاماً، وأنت إذا أنصفت من نفسك وجدت الحياة أجمل مما تتصور وأروع مما تتخيّل، فمكاسبك فيها أكبر من خسائرك، ونعم الله عليك أعظم من المصائب التي حلّت بك، الحياة جميلة متى ما نظرت إليها بتفاؤل، ومتى ما أحسنت توظيف نعم الله عليك، ومتى ما استقبلت المواهب الربّانية بقبول حسن، لكنك لن تجد للحياة طعماً لذيذاً ولن

ترى لها صورة حسنة ما دمت تحمل بين جنبيك نفساً متشائمة
ونظرة سوداوية، فلو سكنت قصرًا مشيداً وحللت حديقة غناء
وأشرفت على نهر مطرد، وملكت كنوز الدنيا فسوف تبقى كئيلاً
تعيساً منغصاً؛ لأنك صدقت الشيطان في أخباره السيئة ووعدوه
الكاذبة، ولو صدقت الرحمن وآمنت به لرضيت بقضائه وقدره
ولقنعت برزقه، فتجديك متبسماً سعيداً وأنت تسكن كوخاً، وتأكل
خبزاً جافاً وتنام على الرمل، إن أكثر الشقاء الذي يعيشه كثير
من الناس أوهام مزيفة، وأخبار مغلفة بالكذب؛ لأنهم وضعوا على
عيونهم نظارات سوداء من التشاؤم والنظر إلى الجانب السلبي
المظلم من الحياة فأصبحوا لا يرون إلا سواداً في سواد، فهم لا
يتمتعون ببهاء الشمس الساطعة وإنما يشكون حرارتها، ولا يتلذذون
بشرب الماء الزلال ولكنهم ينزعجون من برودته، وإذا ناولت أحدهم
وردة جميلة نظر إلى شوكتها، ولهذا يقول إيليا أبو ماضي:

أيها المشتكي وما بك داءً

كيف تغدو إذا غدوت عليلاً

وترى الشوك في الورود وتعمى

أن ترى فوقها الندى إكليلاً

والذي نفسه بغير جمالٍ

لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

فاخلع نظاراتك السوداء التشاؤمية، ونظف ذاكرتك السوداوية من الأوهام والإحباط والخرافة، وأقبل على الحياة بإيمان ورضا وعزيمة، وسوف تجد الحياة تعطيك أكثر مما تطلب، وسوف تراها أبهى وأبهج مما تتوقع، وقد ذكروا في التاريخ المعاصر أن فرنسا في ثورتها العارمة سجت شاعرين من شعرائها متفائلاً ومتشائماً، فأما المتفائل فأخرج رأسه من النافذة ونظر نظرة في النجوم وضحك، وأما المتشائم فنظر إلى البائسين في الشارع المجاور فبكى، وقد قسّم الوحي الناس في استقبالهم للقرآن العظيم إلى قسمين حسب نظراتهم في الحب والتفاؤل والكره والتشاؤم ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾، كم مرة ظننا أنها النهاية فإذا هي البداية، كم من يوم اعتقدنا أنه الإخفاق والإحباط فإذا هو الانتصار والنجاح، كم من مصيبة حسبنا أنها ساحقة ماحقة فإذا هي نعمة وهبة ربانية قوّتنا وأيقظتنا، كم مرة خفنا ولكن لم يحدث ما نخاف، وكم مرة تشاءمنا ولكن لم يحصل مكروه، فعلينا جميعاً أن نستقبل أيامنا بالتفاؤل والنفس الراضية والهمة العالية ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.



أكبر كذبة في التاريخ

أشكر الفيلسوف الإسلامي الكبير الشيخ أبا عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري في ردوده القوية الساحقة الماحقة على الملاحدة وبالخصوص في كتابه (لن تلحد)، ولو كان هناك عدل عالمي وإنصاف إنساني لمُنح هذا الموسوعي الأملعي جائزة نوبل، والمقصود أنه تهكّم بالملاحدة وسخر منهم وشاركه في ذلك نوابغ العالم، فالعقاد في كتابه (مذاهب ذوي العاهات) خلص إلى أن الملاحدة معاقون عقلياً وأنهم حمقى خالفوا المنطق والعقل والبرهان، وفي سيرة أينشتاين صاحب النظرية النسبية يقول: إن من ينظر في الكون يعلم أن مبدعه وخالقه حكيم لا يلعب بالنرد. وقد سخر الكاتب المصري الشهير أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة من ناطق باسم مركبة الفضاء الروسية كتب في صحيفة البرافدا أن رواد المركبة لم يجدوا الله سبحانه على عرشه، فكتب الزيات مقالة منها: لكنها الشيوعية أرض بلا سماء، ويوم بلا غد وعمل بلا خاتمة، وسعي بلا نهاية، إنها خرافة لكنها تافهة، ولعنة لكنها ماحقة، وكذبة لكنها كبرى. وفي مذكرات الرئيس جورج بوش الأب (سيرة إلى الأمام) ذكر أنه زار موسكو لحضور جنازة رئيس الاتحاد السوفيتي الأسبق برجنيف قال: فوجدت الجنازة مظلمة لا نور عليها لأنهم لا يؤمنون بالله ولأن بوش مسيحي وهم

ملاحظة، وللفيلسوف الكبير الروسي سخروف مذكرة أثبت فيها وجود الله سبحانه وبسببها نفاه الحزب الشيوعي إلى صحراء سيبيريا، وفي كتاب ابن عطاء الله يقول في القصص العالمي: إن أستاذ الرياضة في مدرسة ابتدائية بطاشقند سأل الطالب أحمد عن الله: أين هو؟ فقال الطالب: الله في السماء، قال الأستاذ: هل رأيته؟ قال الطالب: ما رأيته ولكن عرفتته بمخلوقاته وآياته وليس كل شيء يا أستاذ لم نره معناه العدم، فأنت تؤمن بالعقل وما رأيت العقل فغضب على الطالب، وقال لطالب آخر: وأنت تؤمن بوجود الله؟ قال الطالب: نعم، قال الأستاذ وما دليلك على وجوده؟ قال: يا أستاذ لو رأينا بيتاً مشيداً ألا يدل على أن له بانٍ بناه؟ ولو رأينا لوحة جميلة ألا تدل على أن لها رسّاماً مبدعاً؟ كذلك هذا الكون العظيم يدل على أن له خالقاً عظيماً. وقد نقل ابن تيمية إجماع عقلاء العالم من كل الملل والنحل على وجود الخالق سبحانه وما أنكر ذلك في الظاهر إلا فرعون مع أنه مقر في نفسه بوجود الله حتى قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾. إن الإلحاد أكبر كذبة في التاريخ وإن الملاحظة معاقون فكرياً وحمقى عقلياً ومرضى نفسياً ولا إله إلا الله أصدق كلمة عرفها الدهر.

ولقد قال المأمون لأحد الزنادقة: أنت تيس وأتيس منك من يصدقك، وقال شمس الواعظين الشيرازي في القصص

العالمي: والله إن حماري الأشهب الأجرب أذكى من بندريوف
رئيس الحزب الشيوعي في طاشقند، وقال ابن معارف على
لسان حمار توما الملحد:

قال حمار الحكيم توما

لو أنصفَ الناسُ كنتُ أركبُ

فإنني جاهل بسيطٌ

وصاحبي جاهلٌ مركَّبٌ

والرسل الكرام عليهم السلام لم يأتوا فقط بإثبات وجود

الله بل بُعثوا بتوحيده جل في علاه وأن لا يُعبد بحق سواه.



نقد التعليم الديني

لا يزال التعليم الديني في الجانب الفقهي على حالة واحدة عندنا منذ ألف سنة، فهو متون فقهيه مذهبية مجردة من الدليل كُتبت قبل قرون من الزمن، يحفظها الطلاب عن ظهر قلب كزاد المستقنع في الفقه الحنبلي، ومختصر خليل في الفقه المالكي والتقريب لأبي شجاع في الفقه الشافعي، والقُدوري في الفقه الحنفي، وهذه المتون كُتبت باختصار شديد للعبارة والغاز في الجمل واختزال للمعاني، والخطأ فيها من وجهين:

الأول: تجريدها من النصوص كتاباً وسنة؛ لأن المقصود الاستدلال لها بدليل شرعي لا الاستدلال بها هي مجردة من الدليل.

الثاني: فهم الكثير أن هذه الآراء الفقهية قاطعة راجحة وما سواها باطل؛ فحصل التعصب للمذهب والبعد عن الدليل، فحينما تطالع مثلاً أول زاد المستقنع تجد عبارة (وأقسام المياه ثلاثة)، وهذا خطأ بل هما قسمان فقط، ثم يقول: (وإذا اشتبهت ثياب طاهرة بنجسة صلى بعددها وزاد صلاة) يعني أن من عنده عشرين ثوباً فعند الاشتباه يصلي إحدى وعشرين صلاة وهذا خطأ بل عليه أن يتحرى، والمشكلة أن هذه المتون تذهب بالطالب بعيداً عن الآية والحديث ويكدُّ ذهنه في عبارات مغلقة مقفلة دون طائل، ولماذا نشغل بعبارات الفقهاء الملعزة الغامضة ونشرحها

ونعصر الذهن في فهمها، ومعنا كتاب عظيم فيه الهدى والنور مع البيان الشافي والجواب الكافي، ومعنا سنة مطهرة سهلة ميسرة، حتى إننا نعرف من الفقهاء من تصدّر للإفتاء وهو لا يميز بين الحديث الصحيح والضعيف، ولا يستحضر الدليل وإنما يحفظ هذه المتون الفقهية المذهبية، فهل فينا رجل رشيد يصلح هذا التعليم الفقهي؛ ليدرس الطلاب فقه الكتاب والسنة كما فعل أئمة الحديث وابن تيمية وابن عبد البر وابن عبد الوهاب والصنعاني والشوكاني وغيرهم.

وقد درسنا في المتوسطة والثانوية سبع عشرة مادة في الدين والرياضيات والجبر والهندسة والفيزياء والكيمياء والأحياء والإنجليزي مع الأدب والنحو والثقافة والتاريخ والجغرافيا وغيرها وكان معنا في تلك المراحل د. سلمان العودة ود. عبدالرحمن السديس ود. عبدالوهاب الطريري ود. محمد التركي وغيرهم من تلك الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، فتخرجنا لا نعرف الإنجليزي ولا نجيد الفيزياء ولا نفهم الكيمياء ولا نحسن الأحياء ولم يُفتح علينا في الجبر ولم نوفق في الهندسة ولم نبرع في الحساب وغرقنا في الجغرافيا بين صادرات ساحل العاج ومستوردات بوركينافاسو ومنتجات الكمرون وأخشاب زائير والكاكاو في غينيا بيساو فصار المنهج (خويضة) وصارت دراسة هذه المواد على حساب المواد الشرعية واللغة العربية،

وبالله عليكم هل هذه طريقة في تعلم العلم؟ ويحق للطلاب في العالم العربي ألا يخرج منهم فقيهٌ بارعٌ ولا مفسِّرٌ حاذقٌ ولا أديبٌ لامعٌ ولا نحويٌّ ساطعٌ لأن التعليم في المتوسطة والثانوية (كوكتيل) قل يعني على طريقة (صِبَحْتُ بالخير).



إذاعة القرآن في تونس

خطوة ذكية وحصيفة إقدام الحكومة التونسية لافتتاح إذاعة القرآن الكريم التي تُبث على مدار الساعة وقد كسبت الحكومة التونسية بهذا العمل الجليل مكاسب منها: تلبية رغبة الشعب التونسي النبيل المسلم الذي لا يريد إلا الإسلام خياراً ومنهجاً للحياة، كيف وهو بلد ابن خلدون والطاهر بن عاشور والزيتونة والقيروان، ثم إن القرآن سوف يحل مشكلات الغلو والتطرف والتحلل من الدين والأخلاق والقيم فيعيش الشعب التونسي الأمن والفضيلة والرحمة والتسامح، وسوف يشكر العالم الإسلامي لتونس هذه المبادرة الرشيدة، ولقد أثبتت إذاعة القرآن بتونس نجاحها من أول يوم، فقد ذكرت (جريدة الشرق الأوسط) أن الإذاعة تلقت في وقت قصير ثمانية آلاف رسالة شكر وتقدير وسوف يستمر القرآن الكريم يرسل رسائله عبر إذاعة تونس للشعب التونسي والعالم، ففي القرآن الرحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وفي القرآن الحكمة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾، وفي القرآن العدل ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، وفي القرآن الوسطية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، وفي القرآن التسامح ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، وفي القرآن العفو والصفح ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، وفي القرآن

الحوار الجميل مع الآخر ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وفي القرآن الرفق واللين ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، وسوف يسمع التونسيون والعالم الدعوة في القرآن للسلام ومنع الاعتداء ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، والأخوة والألفة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، والتضامن ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، والنهي عن التدمير ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، وتحريم القتل ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، هذا هو الحل الصحيح لأي أفكار شاذة غريبة وأي أعمال شريرة وتصرفات هوجاء، وهذا الحل لا يكون إلا في كلام الله عز وجل ورسالته الخالدة لأهل الأرض، وسوف يقتحم القرآن بسلطانه الباهر وبرهانه القاهر مستعمرات العقول الجامدة، والنفوس الجاحدة، والأرواح الخاملة، فينفذ عنها غبار الشر ويجتث منها شجرة الخبث ويغسلها من أدران البغضاء والشحناء والحقد، لأن من مهمات القرآن الكبرى ومن مقاصده العظمى إخراج الإنسان سوياً كريماً خيراً ليكون عضواً صالحاً في المجتمع، يحمل سنبلة لا قبلية، ويشارك في حركة التنوير والتعمير لا في عصابة التكفير والتفجير، إن الشعب التونسي قد رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً ولا يريد أفكاراً مستوردة معلّبة من الشرق أو الغرب بل يريد الوحي من السماء حيث العصمة من الزلل، والسلامة من الخلل، والنجاة من العلل، وسوف يسعد التونسيون

ومعهم كل المسلمين بتلاوة حية خاشعة تعبر الفضاء ويحملها الأثير فتخترق حُجُب الضمير وتنفذ إلى سويداء القلب وتصل إلى قرارة النفس فحوى هذه التلاوة العطرة من إذاعة القرآن في تونس على مدار أربع وعشرين ساعة تقول للناس: تراحموا، تصالحوا، تسامحوا، تصافحوا، تحابوا، اعبدوا الله وحده، برّوا آباءكم، صلوا أرحامكم، ألقوا سلاح العداوة، انشروا بينكم المحبة والسلام، ابتعدوا عن الفتنة، اجتنبوا القتل، عيشوا حياة الإيمان والأمن، والإسلام والسلام، وصدق الله حيث يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

أُبارك للتونسيين مشروعاتهم العظيم المباركة في إذاعة القرآن الرائدة الرشيدة، وإذا لم ينصت الشعب التونسي للقرآن الكريم فهل ينصت للقانون الفرنسي الذي قتل من الشعب الجزائري وحده أكثر من مليون مسلم ظلماً وعدواناً أو فتوحات البيت الأبيض صاحب سجن غوانتانامو ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.



أغلقوا محاكم التفتيش

لن تسلموا من تصنيف الناس ولو كنتم في بروج مشيدة، فإذا تكلمت أو حاضرت أو كتبت أو ألّفت فسوف يقوم أناس موكلون بك ويصنّفونك تماماً، فإن كنت طالب علم ومدحت آراء الفقهاء ونقلت عن أهل المذاهب فأنت عندهم مقلد متعصب جامد، وإن أخذت بالدليل واعتمدت على النص فأنت ظاهري جلف، وإن رفعت صوتك وأغلظت في العبارة وأنكرت على بعض المخالفات فأنت (خارجي)، وإن أكثرت من البشارة وذكرت الناس بعفو الله وفتحت باب الأمل لهم في التوبة فأنت (مرجئ)، وإن رفقت بأهل الشأن وألنت لهم الحديث فأنت عالم سلطان مدهن، وإن كتبت عن الآخر ونقلت عن الغرب فأنت (ليبرالي)، وإن تحدّثت عن التمدن وخبرات الغير فأنت (علماني)، وإن حاضرت عن الحكم وما والاها فأنت (إخواني)، وإن ذكرت الولاء والبراء فأنت (سروري)، وإن أكثرت من المبشرات وأعرضت عن المنكرات فأنت (تبليغي)، وإن حاضرت عن الخلافة فأنت (تحريري)، وإن دعوت إلى منهج السلف ونبذ الشريكيات والبدع فأنت (وهّابي)، وإن أكثرت من الشمائل والمدائح النبوية فأنت (صوفي)، وعندى كتابات ورسائل تحدثت عني من البعض فذكرت عني وأنا العبد الفقير أنني (حلولي) لبيت شعر قلته من قصيدة، وآخر ذكر أني

(صوفي) لعبرة قلتها في شريط، وثالث ذكر أني (خارجي) لأن لي قصيدة وأنا طالب بالثانوية بعنوان (دع الحواشي وأخرج)، ومقصودي: أيها العالم أخرج للناس معلماً ومربياً ولا تكتف فقط بتحقيق الحواشي، فقال الأخ معلّقاً على كلامي: فانظر إليه يا أخي كيف يقول: (دع الحواشي وأخرج) ومقصوده: اخرج على والي الأمر!! فبالله عليكم هل في كلامي ما يفهم عند المسلمين أو اليهود أو النصارى أن قصدي الخروج على والي الأمر، وذكر آخر أنني (مرجئ) لأنني أكثر من ذكر التوبة والرحمة حتى سهّلت المعاصي للناس، وأنا لا أنكر أن هذه المذاهب والجماعات والأفكار موجودة ولكن الإنكار على من نصبوا أنفسهم قضاة على عباد الله يصنّفونهم على كل كلمة وقصيدة ومحاضرة وكتاب، قال الزمخشري عن تصنيف الناس:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبج به

وأكتمه كتمانهُ لي أسلم

فإن حنفيًا قلتُ قالوا بأنني

أبيعُ الطلّا وهو الشرابُ المحرّم

وإن مالكيًا قلتُ قالوا بأنني

أبيعُ لهم أكلَ الكلابِ وهم هم

وإن شافعيًا قلتُ قالوا بأنني

أبيعُ نكاحَ البنتِ والبنتُ تحرّم

وإن حنبلياً قلتُ قالوا بأنني
 ثقيلٌ حُلُولِي بغِيضٍ مُجَسِّمٍ
 وإن قلتُ من أهل الحديث وحزبه
 يقولون تيسٌ ليس يدري ويضهم
 تعجبتُ من هذا الزمانِ وأهله
 فما أحدٌ من ألسنِ الناسِ يسلّم

أيها الناس أغلقوا محاكم التفتيش في أذهانكم، وأوقفوا
 ثكنات التجسس والاستخبارات في عقولكم، وارفعوا المشانق التي
 نصبتموها للآخرين، ويا أيها العلماء والدعاة صونوا ألسنتكم من
 الخوض في ما نهى الله عنه، ويا أيها الكتّاب أغمدوا أقلامكم
 عن التجريح والتشويه والهمز واللمز والغمز ولا تحكموا إلا ببينة
 كالشمس في رابعة النهار (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)، أما
 الظنون والأوهام والوساوس فهي تليق بمرضى النفوس، فقراء
 القيم، خواة الضمائر، يقول ابن رشيد (بالشعبي) :

ما يستشكُّ يا حسين كودُ الرديينِ
 ولا ترى الطيّبَ وسيعِ بطانته



الإسلام السياسي في مأزق

أنا مؤمن -والله- أن الإسلام هو الحل عقيدة وحكماً ومنهج حياة، ولكن على طريقة رسولنا ﷺ، وسوف أكون اليوم شجاعاً بدرجة إيصال صوت النصح لإخواني الإسلاميين في الحركات الإسلامية، وسوف أترك المجاملة حتى أنتهي من كتابة هذا المقال، فأقول: ألا يكفيما ما مرّ بنا من تجارب وحوادث دامية مبكية أثمرتها المواجهة مع الحكام والصّدام الدموي معهم دون فهم لسنن التاريخ وتدبّر للواقع، لماذا اتجه أهل الإسلام السياسي من إصلاح الفرد والأمة إلى طلب الحكم والحرص على الكرسي بأي ثمن ليحكموا شعوباً جاهلة بالدين (هريانة كحيانة)؟ لماذا نجعل إقامة الخلافة من أهم مطالب الدين ومقاصد الملة كما قالت الشيعة في الإمامة؟ بل إن أهم مطالب الدين الإيمان بالله وحده وإفراده بالعبودية واتباع رسوله ﷺ والعمل بطاعته، لماذا نحرص كل الحرص على تولّي المناصب التي رفضها من هو أتقى وأعلم وأكرم منّا: الثوري، ابن المسيب، الحسن البصري، مالك، الشافعي، أبو حنيفة، أحمد وكل أئمة الإسلام؟ ما هذا التصعيد الحاد في الخطاب، وطلب المنازلة، والحرص على المواجهة؟ هل نريد زيادة في التتكيل بنا وذبح أبنائنا وهدم بيوتنا وتشريد نساءنا؟ أقول هذا وقلبي مع الإخوة

في فلسطين وهم يعيشون الحصار والقتل والتدمير والتضييق بل المجاعة والاجتياح من قبل عدو شرير مارد أُعطي الفرص من كل الأطراف لممارسة العبث والهوج والتلاعب بدماء المسلمين. وأنا لا أطالب الإسلاميين بسياسة بعض الأنظمة العربية التي آثرت الدّل والخنوع والتبعية مع المحتل، إنني أطالب الإسلاميين بسياسة رسولنا ﷺ الإمام القدوة؛ فإنه في حال الضعف أثر عدم المواجهة كما فعل مع المشركين في مكة، واهتم ﷺ بإصلاح الناس وتربيتهم وتعليمهم حتى أخرج جيلاً راشداً مثالياً، ثم أقام دولة هي أعظم وأعدل دولة عرفها التاريخ، وعلى الإخوة في فلسطين وفي غيرها من بلاد الإسلام ألاّ يعولوا كثيراً على المواقف الشفوية العاطفية المجردة من النفع والتي تنتهي بخطاب مواساة وتضامن يوقعه ألف عالم إسلامي، فوالله لو كتبت عريضة دون دعم مالي وعسكري ووقع عليها مائة عالم مسلم وأذاعتها أشهر قناة فضائية (٩٩) مرة لما أطعمت هذه العريضة أبناء الشعب الفلسطيني خبزاً من (البقالة) ولا أسقتهم كوب ماء، ماذا جنينا من المواجهة الدموية مع النظام في مصر وسوريا والجزائر وتونس غير السجون والقتل ويُتمّ الأبناء وضياع الأسر وحظر الدعوة والتضييق على العلماء؟ وكأن بعض الإسلاميين يرون أن الإنسان لن يدخل الجنة حتى يسجن ويقطع ظهره في الزنزانة ثم يذبح ويسلخ (بل نسأل الله العفو والعافية)، وفي الحديث: «لا

تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية»، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن الطوائف المحتسبة من أهل العلم ما قامت على سلطان عادل أو ظالم إلا كانت الدائرة على تلك الطائفة؛ لأنها جهلت المنهج النبوي على حديث: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، فبدل أن تقوم هذه الحركات الإسلامية بالدعوة النبوية وإصلاح الأمة وتربية الجيل تريد أن تقفز إلى رأس الهرم وتهمل القاعدة وتواجه أنظمة، ولو أنها فاسدة ولكنها تملك طوابير العسكر وجيوش الشرطة وأسراب الطائرات وقوافل الدبابات، بينما عند الإسلاميين عشرة مراكز صيفية ومائة خيمة كشفية، وانظر إلى الإسلاميين في الجزائر وأنا أعلم أن النظام ظلمهم حقهم لما فازوا في الانتخابات، كانت طريقتهم في الدعوة غير ناضجة وكان المطلوب منهم تربية الشعب الجزائري الباسل على الإيمان؛ لأنه خرج من الاستعمار جاهلاً بدينه وعقيدته، وبحاجة إلى تربية إسلامية راشدة، ولكن ترك ذلك كله إلى خطب رنانة طنانة حماسية عاطفية تدعو إلى: النزال النزال بلا علم ولا روية، ثم قامت المظاهرات والاشتباكات ثم القتل والتدمير ثم تمزيق الشعب الجزائري وإزهاق أرواح ربع مليون مسلم حرام الدم، فهل كان يعرف الإسلاميون أن حكومة الجزائر عندها نصف مليون من الجيش المدجج بالسلاح وربع مليون من الدرك

الملغم بالقنابل وثكنات من العتاد بينما ليس عند الإسلاميين إلا ألف كتاب، ومائة مسجد جامع وصحيفة واحدة، أخرجوا لنا الآن عشرة علماء كبار من علماء الشريعة يشار إليهم بالبنان في الجزائر أو تونس أو المغرب أو غيرها، أفيقوا أيها الإسلاميون وحكموا سياسة الرسول ﷺ في دراسة المراحل ومعرفة الحال والفهم لرسالة الإسلام ومقاصد الشريعة، وأصلحوا الناس وردوا الشعوب إلى الإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ ودعونا من العنتریات والغضبة المضرة التي ما قتلت ذبابة بل جرّت علينا الويلات والمعتقلات والأزمات، وأنا بالمناسبة أحيي حزب العدالة والتنمية الإسلامي بتركيا، وقد زرت تركيا ثلاث مرات فوجدته يربي الناس على تعاليم الإسلام الصحيح، وعنده حكمة وصبر وذكاء ودبلوماسية وفهم للواقع وفقه بالمناخ الدولي، فاعتبروا أيها الإسلاميون وأعيدوا القراءة من جديد وهذه نصيحة من أخ ناصح محب ﴿إِنْ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .



الفكر العربي بلاهوية

لا يوجد للفكر العربي المعاصر معالم ثابتة ولا مسارات محدّدة بحيث يتميز عن غيره من أفكار الأمم والشعوب، فهو متماهٍ وعشوائي إلى درجة دخول الديني واللا ديني والمؤمن والمحدد تحت مسمى الفكر العربي، وإذا لم يكن لهذا الفكر شخصيته البارزة والمتفردة عن الأفكار الأخرى فلماذا نسميه الفكر العربي؟ فهو إذاً كغيره من الأفكار؛ كالفكر الغربي والصيني والكوري ونحو ذلك، ونحن العرب شرفنا الوحيد هو رسولنا ﷺ الخاتم وما جاء به من عند ربه تعالى، أما مآثر الجاهلية الجاهلاء، أو شجاعته الهوجاء، أو مكارمها الرعناء، فعند الأمم والشعوب أضعاف مضاعفة من هذا الكم من الأخبار والروايات والقصص، ولماذا لا يعلن الفكر العربي بصراحة وشجاعة ووضوح أن رسالته هي رسالة الإسلام، وأن منطلقاته من الوحي المقدس، وأن هويته ربّانيّة محمّدية لا مساومة في ذلك ولا تنازل، حينها يُعرف الفكر العربي بهذه البصمة ويصبح له لون معروف، ومكان مرموق، ورسالة محدّدة محترمة، وإذا لم يحصل هذا التحديد فما الفائدة في أن يُقال الفكر العربي أو الأفكار العربية من إسلامية وقوميّة وبعثية وعلوية ودرزية ونصيريّة وناصرية ونصرانيّة،

وسوف يدخل في هذا الفكر الشعارات القومية الزائفة، يقول
الشاعر العربي القومي البعثي (طبعاً بلا إسلام):
أمنت بالبعث رياً لا شريك له

وبالعروبة ديناً ما له ثان!!
وسوف يشمل الفكر العربي هتافات الشاعر القومي العربي
(طبعاً بلا إسلام) القائل:

هبوا لي ديناً يجعل العرب ملة
وسيروا بجثمانى على دين برهم
سلام على كفر يؤلف بيننا

وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم
ويصبح الفكر العربي بلا هوية كثرمن شاة الأعرابي التي
عرضها بالسوق للبيع فقليل له: بكم شاتك؟ فقال: شاتي بسبعة
دراهم وقد طُلبت مني بثمانية فإن كنت تريدها بتسعة فخذها
بعشرة، لماذا يخجل الفكر العربي المعاصر من إعلان هويته
الإسلامية بينما أعلن الرفاق الشيوعيون قديماً في عدن هويتهم،
وأعلن البعثيون في أول بيان لهم رسالتهم، وصرّح الضباط
الأحرار بتوجههم، وكل دعوة أو منظمة أو مؤسسة أو كيان يعلن
بقوة وبشجاعة عن مبادئه وهويته إلا الفكر العربي فإنه غامض
ومتردد رمادي اللون ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾
كما قال عمران بن حطان:

يوم يمان إذا لاقيت ذا يمن

وإن لقيت معدياً فعدنان

لا نريد للفكر العربي أن يعود إلى ملاعب الوثنية في داحس والغبراء، وعبس وذبيان، ومراتع الجهل، والتخلف في مغاني اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، نريد فكراً مؤمناً بالله في قافلة أبي بكر وعمر ومالك والشافعي والغزالي وابن تيمية وابن رشد وابن خلدون وإمام القافلة سيد الخلق محمد ﷺ:

فإما حياة نظم الوحي سيرها

وإلا فموت لا يسر الأعادي

وتأكد من بضاعة الفكر الوافدة إليك بأن يكون الطابع المسجل ربّانياً محمدياً، والشركة المنتجة ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾، والوكلاء الوحيدون ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، والعلامة الفارقة ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ والفكر العربي بلا وحي هو المسؤول عن هزائمنا ومآسينا؛ فهو الذي هزمنا في حزيران وسلّم سيناء وباع الجولان واحتل الكويت وضرب الرياض بصواريخ الأسكود، وحارب دعوة التضامن الإسلامي التي أطلقها الملك فيصل، وكل شؤم دخل علينا فهو من الفكر العربي الأرضي المحارب للدين، وكل انتصارات حصلت لنا فهي ثمرة لاعتصامنا بحبل الله في بدر وحنين واليرموك والقادسية وعين جالوت، مع الشكر للشاعر

الفيلسوف العالمي محمد إقبال وهو يحيي التاريخ الإسلامي في
المشرق حيث يقول مخاطباً ربّه عز وجل:
إذا الإيمان ضاع فلا أمان

ولا دنيا لمن لم يحيي ديناً
ومن رضي الحياة بغير دين
فقد جعل الفناء لها قريناً
فيا صاحب الجمرِكَ لا تتأمرِكَ، وأحدرك من مزدك، وفوّض
إلى الله أمرك، واعرف قدركَ، ووحد الله ولا تشرك.



أيام في جاكرتا

كنّا عشرة من السعوديين في زيارة أندونيسيا لحضور معرض الكتاب وإلقاء دروس ومحاضرات، ووصلنا هذه الدولة أكبر دولة إسلامية من حيث عدد المسلمين الزائد على مائتين وأربعين مليون مسلم، والذي لفت أنظارنا أن هذه البلاد المكوّنة من سبعة آلاف جزيرة بين طرفيها تسع ساعات بالطائرة لم تدخل الإسلام بجيوش جرّارة ولا بحاملات طائرات ولا بكمندوز ولا باجتياح عسكري وإنما بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار والإقناع، وعجبنا من عاطفتهم الدينية الصادقة مع سماحة في الخلق وبُعد عن العقد النفسيّة، ونظرية المؤامرة والتربص بالآخر مع ما منحهم الله من جمال في الطبيعة يأسر النفس ويخلب الذهن ويدهش الزائر، وصعدنا الجبل الشهير في ضواحي بندو يكلّله السحاب وتكسوه الخضرة وتتحدّر من جنباته الشلالات في منظر يبهج خاطر، ويشرح الصدر، ويذهب الحزن، ولما حان أذان الفجر ارتجّت الجبال بالأذان، وجلسنا بعد صلاة الفجر على قمة الجبل نتحدث عن عظمة الإسلام في وصوله بالمنطق والحكمة إلى أصقاع الدنيا ودخوله المدن والقرى والأرياف والأكواخ والبوادي، ثم ذكرنا الطريقة العقيمة الفاسدة التي يقوم بها السفهاء الجهلة من الغلاة ممّن يريدون فرض

آرائهم على الناس بالحديد والنار، ومن خالفهم ذبحوه وسلخواه،
 فأبي عقل؟ وأي دين؟ وأي منطق؟ أما قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ
 فِي الدِّينِ﴾ وقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وقال:
 ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ﴾ الإسلام أيها الإخوة لا يحمله للعالم
 أحقق مريض نفسي، ولا يمثلّه مشوّه الفطرة بليد الذهن، ولا
 ينجح في الدعوة إليه ملتبس بالغلوّ والفضاظة والغلظة وحُبّ
 الانتقام ولا متعطّش للدماء متهور في الأحكام، فالإسلام دين
 السماحة والوسطية والاعتدال والعقل والمنطق، روّاه أهل العلم
 والفطر السوية والأخلاق القويمة والمذاهب المستقيمة، وكفيّنا
 أن أندونيسيا بعلمائها وقادتها وتجارها وبكل أطيافها رحّبت
 بالإسلام واعتنقته عن طريق التجار المسلمين الصّادقين، حتى
 إنني شاهدتهم في المحاضرات إذا ذكر لهم الرسول ﷺ والحرمان
 الشريفان ترقّرت أعينهم شوقاً، أليس هذا هو الطريق الصحيح
 في الدعوة التي أثمرت دخول الناس في دين الله أفواجا؟ مع
 شكري للعلماء والأغنياء العرب الذين بنوا المساجد والمدارس
 وأسهموا في المشاريع العظيمة من معاهد ودور رعاية وحفر
 آبار وتوزيع كتب وهذا هو العمل الباقي، أما صنّاع الموت فلا
 بقاء لهم، ولا مستقبل لدعوتهم؛ لأنهم للفناء، والإسلام للبقاء،
 ولأنهم وقود الدمار، والإسلام يريد العمار، ولأنهم كبسولات
 قاتلة لموت بطيء وانتحار منتظر، وحملة الإسلام مشاعل خير،

ورموز إصلاح، ونجوم فضيلة، وبقدر ما أدهشني في أندونيسيا من طبيعة ساحرة، وشعب كالبحر الهائج المائج، فإنني مندهش أكثر من عظمة الإسلام في قدرته الهائلة على استيعاب العرب والعجم والبربر والبيض والحممر والسود والأغنياء والفقراء في كل زمان ومكان، وقد قابلنا في الحفل نائب الرئيس ورئيس البرلمان وعلماء كباراً كلهم هتافهم الخالد: (يعيش الإسلام)، وعندهم جامع الاستقلال في جاكرتا إذا دخلته شعرت بهيبة لضخامته واتساعه جداً، ومع هذا فهو يزدهم في كل فرض، فيا لعظمة الرسالة الربانية الخالدة التي أقنعت في بلد واحد مائتين وأربعين مليون يتكلمون بلغة أخرى في شرق الدنيا فصاروا أتباعاً صادقين وأنصاراً مخلصين!



أيتها العير إنكم لسارقون

ينبغي أن نستحيي من ممارسة التزوير الذي نقوم به صباح مساء، فقد عرفت بعض الناس جعل لنفسه لقب الدكتور وهو لم يحصل على الدكتوراة، وبعض طلبة العلم تظاهر بأنه يحفظ كذا وكذا متناً وهو لم يحفظها، وبعض التجار أوهم الناس أن لديه مشروعات مساهمة فتورّط الناس معه، وساهموا فأفلسوا، وبعضهم ضحك على البسطاء حتى باعوا بيوتهم وأودعوا أموالهم عند هذا المفترى، فأخذ المال وهرب لكنه لا يستطيع أن يهرب يوم القيامة، واستمعتُ لرجل يكتب في التاريخ ادّعى في المجلس أنه شاهد سد ذي القرنين على حدود الصين، وقد كذب بعد ظهور برهان كذبه، وبعضهم يدعي أنه رأى رؤيا منامية هائلة وهو كاذب، وقسّ على ذلك صنوف التزوير، فلماذا هذا؟ أمن أجل الناس؟ ومن هم الناس؟ ما قدرهم حتى يُعصى الله من أجلهم؟ وقد كان السابقون الأخيار ينادون بأسمائهم المجردة، ويذكر للواحد إنجازات عملية فيقولون: أبو بكر الصديق حضر الغزوات كلها، وأنفق ماله كله في سبيل الله، وكان مع الرسول ﷺ في الغار والهجرة والعريش يوم بدر ونحو ذلك، فلما جاء المتأخرون قالوا للواحد: سماحة العلامة الفهامة، وحيد العصر، أعجوبة الدهر، النظّر المجتهد، البحر الجهبذ، وآية الله، وحجة الإسلام، فلان

ابن فلان، ولهذا علّت وسبقت الأمة في أول عهدها، وأخفقت ورسبت في عصرنا، حتى إنني رأيت بعض من يذكر سير بعض المتأخرين يقول: ما رأى مثل نفسه وعجزت النساء أن يلدن مثله، ولو كان في بني إسرائيل لكان عجباً، ولو حلفت بين الركن والمقام ما رأيت مثله لصدقت، ونحو هذا الكلام الفارغ الفاضي الفاشل، ونحن نحتاج إلى كتابة تاريخ صادق لنا وشفاف وعادل بدل تاريخنا الذي أغرق في سيرة الملوك والخلفاء فقط، حتى ذكر لنا جواربهم وموائدهم وملابسهم وأهمل تاريخ الأمة العلمي والإصلاحي والاجتماعي، ثم الواجب أن تذكر الحسنة والسيئات بلا أهواء ولا عواطف ولا ظلم، وإنما الإنصاف في ذكر سنن الله في الأمم والشعوب واستخلاص الدروس النافعة من كل حادثة وواقعة تستحق الدراسة، تاريخنا في أكثره سرد قصصي، وتهويل مع ذكر عجائب وغرائب أحياناً لا يصدقها العقل مع المبالغة في الأوصاف والأرقام، ونحن بحاجة إلى من يمحص تاريخنا، ويغريه من الأوهام، ويقدمه في أحسن صورة، ويقوم بذلك فريق من العلماء الملمين بالتاريخ وفقه التاريخ، وحبذا لو ربط هذا التاريخ بالقرآن بحيث تتجلى سنة الله في كتابه في الأمم والدول والعبر المذكورة في كتابه عن هذا الباب، فالتاريخ لا يجوز أن يزور، ومن التزوير الثقافي اعتداء بعض المؤلفين على كتب سابقة أو معاصرة وسلخها في مؤلفاتهم دون الإشارة للمؤلف

السابق، ومنهم من أخذ قصائد لغيره ونسبها لنفسه، وذكروا في السير والأخبار تهاويل وغرائب مثل كتاب «بدائع الزهور» و«مروج الذهب» و«الزير سالم» ونحوها حتى ذكروا أن أحد ملوك العمالة كان طويلاً ضخماً إلى درجة أنه كان يدخل يده في البحر فيصيد سمكة ثم يرفعها ويشويها عند الشمس ويأكلها!! وهذا هذيان، وذكروا في عدد الجيوش في منطقة صغيرة ألف ألف مقاتل أي: مليون وأرضهم لا تتسع لهذا، وعدد سكانهم لا يُخرج عُشر هذا العدد من المقاتلين، وقد رد مثل هذه الغرائب ابن خلدون وبعض المعاصرين من المؤرخين والكتّاب. يذكر أن الزعيم الفلاني الميت حدثه بكذا واتصل به وشاوره ومازحه وأكل معه؛ ليعظم هذا المتكلم عند الناس وهو مطمئن لعدم انكشاف كذبه؛ لأن هذا الزعيم مات منذ زمن، وبعض طلاب العلم يذكر أنه حفظ عشرات المتون وقرأ آلاف المجلدات وكان يحفظ في اليوم مائة بيت ولكنه للأسف مرت به ظروف فنسي كل شيء حتى جزء عم، وهذا من التزوير العلمي، وقبل أربعمئة سنة حكم مصر حاكم ظالم طاغية وأصاب مصر زلزال خاف منه هذا الحاكم وأراد أن يتوب فقام شاعر متملق فأنشد الحاكم قوله:

ما زلزلت مصر من كيد ألم بها

لكنها رقصت من عدلكم طربا

فعاد الحاكم إلى ظلمه، وهذا من التزوير الأدبي، والقرآن

هدّد الجميع بقوله تعالى: ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾.

كفوا عن النياحة

الكثير منّا يقيم حفلاً جنائزياً، ويحيي مناحة ويعيد ويبدئ في البكاء على أطلال الماضي وجلد الذات، ونكرر دعاة وكتّاباً وإعلاميين مدح مجدنا الماضي وسبّ حاضرنّا، ونصبّح الناس ونمسيهم ببطولاتنا السابقة ونذكرهم بأن عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين منّا، والعالم يعرف ذلك تماماً حتى جولدا ماثير وموشى ديان، ومن المعلوم عالمياً أن دين الإسلام دين عالمي حضاري عظيم، وقد اعترف بعظمته أساطين الشرق والغرب، وفي لقاء الحوار الوطني عند خادم الحرمين نقل الشيخ صالح الحصين عن الرئيس الأمريكي السابق (نكسون) في كتابه «الفرصة السانحة» قوله: «أمريكا دولة قويّة ولكن للأسف الأفكار العظيمة في الإسلام»، والمقصود أن نشق بأنفسنا وأن نرفع رؤوسنا وأن نفرح بنعمة الله علينا كما أمرنا ربنا، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، أما أن نسبّ أنفسنا صباح مساء وننوح على أطلال ماضينا ونحوّل أفراحنا إلى عزاء، وأعيادنا إلى بكاء، فهذا إحباط وضعف وخور، وقد كنت قدّمتُ قبل سنتين في (قناة المجد) لقاءً عن فرحة العيد فاتصل بي أحد الإخوة منزعجاً من دعوتي للسرور والابتهاج

بالعيد، ثم أخذ يقول: كيف نفرح والقدس سلبية؟ كيف نفرح وفلسطين محتلة؟ كيف نفرح والعراق تعيش الدمار؟ كيف نفرح وأفغانستان تحترق؟ إلى آخر تلك القائمة من ذكر المآسي، وأنا أعلم أنه بعدما (صعقنا وصقنا) بهذا الاتصال وغسلنا بهذا الكلام سوف ينقض على (كبسة أو مثلثة) ويلتهمها إلى درجة التخمّة وسوف ينسى فلسطين والعراق وأفغانستان في ستين داهية، إن علينا أن نعترف بسنن الله التاريخية، قال تعالى: ﴿وَلَكَ الْآيَاتُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾، صحيح أننا حكمنا العالم في فجر الرسالة المحمدية وأسسنا أعظم حضارة عرفها الإنسان، ولكننا كما أراد الله حسب السنن الكونية والتاريخية انحصرنا كما انحصر غيرنا لياخذ غيرنا دورته الفلكية في الحضارة، ونحن لم ننتهِ من العالم، فصوتنا مسموع، ومكاننا معروف، وبطولتنا حاضرة، وديننا الآن هو أعظم دين مؤثر وحي في الكون، نعم خسرنا أشياء وربحنا أشياء وتقدمنا في ميادين وتأخرنا في ميادين أخرى، ولكن العجيب أنه لما فتح أجدادنا العالم بالإسلام تحوّلت أكثر شعوب البلاد المفتوحة إلى الإسلام لعظمته ولصلاح حامله وصدق أبنائه، لكن بالله عليكم هل سمعتم اليوم أن واحداً من الشعوب التي احتلتها أمريكا تحول إلى أمريكي؟ ها هي أمريكا تدخل البلدان بالدبابات والطائرات تبشّر بالعدل

والديمقراطية وتستقبلها الشعوب بالرصاص واللعنة وتسحب جنودها في الطرقات وتبصق على صور زعمائها وتدوسها بالأقدام، ومن شك في كلامي عن مسألة ابتهاج العالم بالفاتحين المسلمين فليقرأ شهادات (جوستاف لوبون، وتونبي، وغوته) فيا أيها الناس عيشوا المواسم الإسلامية كما أرادها الله ورسوله ﷺ من الفرح والابتهاج وذكر النعمة، وتذكروا الماضي المجيد لأخذ العبرة، واستلهم المثل العليا، وعيشوا الحاضر بتفاؤل، وثقة بالنفس، وانتظروا المستقبل الواعد بفجره المشرق، ونصره الموعود، وفتح المرتقب، إن صنّاع النياحة والقائمين على حفلات التآبين والمناسبات الجنائزية لم يزيّدونا إلا جرحاً إلى جرح ووهناً على وهن، ومن كان الله ربّه ومحمد ﷺ نبيه والقرآن كتابه والكعبة قبلته والجنة مواعده فلماذا يُصاب بالإحباط والخور والضعف والخذلان؟

نحن أبناء الفاتحين، نحن أحفاد المجددين، وإذا صدقنا الله واجتهدنا وثابرنّا فسوف نعود إلى محل الصدارة وصنع القرار في العالم وأخذ كرسي القيادة في المعمورة، أما العويل والنياحة فلم تبنِ قصراً، ولم تفتح مصرّاً، ولم تصنع حضارة، ولم تستردّ وطناً ولم تحي شعباً.



لقاء خادم الحرمين للبابا

ليعلم العالم أن ديننا الإسلامي دين الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ورسالتنا السماوية العادلة تنص على الأخذ والعطاء، والقول والسمع، والجلوس مع الآخر لتقرير قضية كبرى وهي قضية الألوهية لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ومن هنا كان لقاء خادم الحرمين الشريفين البابا خطاباً مفتوحاً للعالم معناه: أن رسالتنا عالمية ربانية تحمل السلام والحوار، وتقرر الحق في الأرض بالطرق المشروعة، وهذا اللقاء توضيح لمهمة المسلم في الحياة، إنه يحمل الدعوة الصحيحة الوسطية البعيدة عن الإفراط والتفريط، ولقد قام رسولنا ﷺ بلقاءات مع اليهود والنصارى، فقد التقى بأحبار اليهود ورهبان النصارى بل زار اليهود في بيوتهم يدعوهم إلى الإسلام ويبين لهم حقيقة الدين الجديد الخاتم، وكان جاره ﷺ يهودياً فلما مرض هذا الجار زاره الرسول ﷺ وجلس عند رأسه ودعاه إلى الإسلام، فالتفت هذا اليهودي المريض إلى أبيه يستشير، فقال أبوه: أطع أبا القاسم -يعني الرسول ﷺ- فأسلم اليهودي، فخرج الرسول ﷺ

فرحاً مسروراً يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»، ولما أرسل الرسول ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى يهود خيبر قال له: «ادعهم إلى لا إله إلا الله وأني رسول الله، فوالذي نفسي بيده لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النعم»، إن لقاء خادم الحرمين الشريفين بالببا يصب في المشروع الإسلامي الكبير الذي يقوم على الحجة والإقناع والسعي في هداية الناس إلى طريق الجنة، أما تفخيخ السيارات، ونسف العمارات، وقتل البنين والبنات، وهدم الجسور وإحراق الممتلكات، وإزهاق الأنفس البريئة بغير حق، فهذا عمل عبثي طائش يدفع ثمنه المسلمون من سمعتهم ورسالتهم ومصالحتهم، إن الأحق محام فاشل عن قضية عادلة وهي قضية الإسلام، يخسر القضية في كل مرة، ولكن العاقل الحصيف ناطق صادق باسم الإسلام، ماذا كسبنا من الأعمال الصبيانية الهوجاء إلا التضيق على الدعاة، والشك في العلماء، وتشويه صورة الإسلام، وإغلاق المؤسسات الخيرية، ومداهمة المراكز الإسلامية، وإذلال المسلم في بلاد الغرب، وغزو بلاد المسلمين تحت ذريعة محاربة الإرهاب؟ من هنا جاء صوت العقل فقام خادم الحرمين بهذه الزيارة بصفته يمثل مهبط الوحي ومهد الرسالة ومولد النور وخلفه مليار مسلم ونصف من جاكرتا إلى نواكشوط، ولا بد من أن نفتح قلوبنا وأبصارنا وأسماعنا فنأخذ ونعطي، ونسمع ونسمع، أما غمس الرأس في

التراب وإغلاق النوافذ عن الهواء الطلق ووضع اللفائف السوداء على العيون فهذا لا ينصر حقاً ولا يدمغ باطلاً ولا يُكسب قضية ولا يُنتج مشروعاً ولا ينفع أمة، لا بد من أن يرفع القادة والعلماء أصواتهم القوية المعتدلة بالحجة ينافحون عن الإسلام ويجملون صورته ويشرحون مبادئه للعالم، وإن رجلاً قال لشعبه وللعالم في كلمة البيعة: (أعاهدكم أن أجعل الإسلام منهجي والقرآن دستوري) لجدير أن يحمل رسالته إلى آخر الشوط، وأن يؤدي أمانته على أتم وجه، فيا حملة الأقلام، ويا رجال الإعلام، ويا ممثلي رسالة الحق والسلام، ويا أيها الناطقون بالحجة إلى الأمام دعوةً وحواراً وعملاً ونصحاً وإرشاداً، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ .
وهيّا ننشد سوياً:

من بلادي يُطلب الحقُّ ولا
يُطلبُ الحقُّ من الغيرِ الغبي
فبها مهبطُ وحي الله بل
أرسل الله بها خيرَ نبي



يامشعل المبتهج

سرّني أن أخي مشعل السديري مبتهج، فأنا ممن يحب
الخير لإخوانه كما قال الشاعر:

فلا نزلت علي ولا بأرضي

سحائب ليس تنتظم البلادا

والمعنى لا أنزل الله علي الغيث وحدي إذا لم يعمّ هذا الغيث
كل الأقطار، ولعل للأخ مشعل من اسمه نصيب؛ فهو يُشعل في
ليل الأحزان قنديلاً من التفاؤل، ويضيء في دياجير الهموم شمعةً
من الأمل، أما أثر (الدين معاملة) والذي دعاني الأستاذ مشعل
لشرحه فليس بحديث نبوي، قال الألباني: لا أصل له، ولكنه من
كلام العلماء، ومعناه متفق على صحته من كل علماء الإسلام،
والمعنى أن حسن المعاملة مع الآخرين من أهم مقاصد الدين
الإسلامي، فالصلاة مثلاً وهي عبادة شخصية تحمل رسالة
في المعاملة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾،
ومن مقاصد الزكاة طهارة النفس والضمير من الغش والحقد
والبغضاء والكراهية، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ
وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، والصيام تهذيب للروح وكف للنفس من طغيانها
وعدوانها وبغيها وفجورها، يقول سبحانه بعد أن ذكر الصيام:
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، إن الدين ليس شكلاً بلا مضمون، ولا طقوساً

بلا مُثُل، ولا حركات بلهاء بلا مقاصد، ولا مظاهر جوفاء بلا حقائق، يقول الرسول ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخُلُق حسن»، وقال: «وتبسّمك في وجه أخيك صدقة»، وقال: «ألا أنبئكم بأحبكم إليّ وأقربكم مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون»، ونحن بحاجة ماسة إلى حمل الدين الصحيح البعيد عن الإفراط والتفريط وتفعيله في حياتنا ظاهراً وباطناً، عقيدةً وعبادةً، أخلاقاً وسلوكاً، جسداً وروحاً، قولاً وعملاً، ولهذا لما زكّى أحد الناس رجلاً عند عمر بن الخطاب، قال له عمر: هل جاورته؟ هل سافرت معه؟ هل عاملته بالدرهم والدينار؟ قال الرجل: لا لم يحصل من ذلك شيء، فقال عمر له: قم، أنت لا تعرف الرجل لعلك رأيته يرفع رأسه في المسجد ويخفضه فزكّيته، ومقصود عمر أن الصلاة تدعو لحسن المعاملة من الصدق والوفاء والبر والصلة وليست مجرد حركات وسكنات، ولذلك تجد بعض المسلمين يفهم أن الدين في المسجد فحسب فإذا خرج من باب المسجد علّق الدين على باب المسجد كما يعلّق ثوبه؛ فإذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا أوّتمن خان، عاق لوالديه، قاطع لرحمه، شرير جبار، ظلوم غشوم، حقوق حاسوب، مناع للخير معتدّ أثيم، فأَي دين عند من هذا حاله؟ الدين: صلاة في المسجد، وحسن

معاملة في السوق، وبر للوالدين وصلة للأرحام، وحسن خُلق مع الناس، وإتقان للعمل في المصنع والعيادة والمزرعة والورشة، الدين ميثاق شرف، وعقد ربّاني بين العبد وربّه يقوم على التّخلق بمكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، والتّحلي بأشرف الخصال، وأنبل الخلال، الدين الصحيح لا يمثله عرييد متحلّ، ولا غالٍ متطرف، بل يمثله الصادقون من أهل المنهج السليم والصراط المستقيم والخط المعتدل الوسط ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، وأعود لأخي مشعل وأشكره على مباركته في نجاح كتاب (لا تحزن)، وحتى لا يظن البعض أنني أكّدس حقوقه المالية تكديساً، فأُصاب بالعين فأقول لهم: قد أعلنتُ مع الأستاذ البارع تركي الدخيل في برنامج (إضاءات) لعموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن حقوق الكتاب ليست لي، فليبلغ الحاضر الغائب ويكفيني الدعاء والثناء الحسن، أما الأحاديث النبوية فأبشّر أخي مشعل أن الله قد قيّض للسنة النبوية علماء جهابذة نخلوها حرفاً حرفاً وأخرجوا الصحيح من الضعيف وهي مدوّنة محفوظة لا يستطيع أحد أن يضيف كلمة واحدة إلا وقد كُشف أمره وظهر زيفه، والبخاري ذكر كثيراً من الأحاديث الصحيحة ولم يجمعها كلها، فأكمل مسلم ثم أهل الصحاح والسنن حتى صارت هذه دواوين الإسلام المعتمدة، وغالب طلبة العلم الشرعي الآن يميّزون

الحديث الصحيح من الحسن من الضعيف من الموضوع، وهذا
من حفظ الله لهذه الشريعة المطهرة.

وفي الأخير فأننا ممن يحس الظن بإخواني في ردودهم
وملاحظاتهم عليّ كما قال والدكم ووالدنا:

لا خاب ظني في الرفيق الموالي

مالي مشاريه على باقي الناس

قل هو الرحمن آمناً به.



نحن العرب قساة جفاة

أكتب هذه المقالة من باريس في رحلة علاج الركبتين وأخشى أن أُتهم بميلي إلى الغرب وأنا أكتب عنهم شهادة حق وإنصاف، ووالله إن غبار حذاء محمد بن عبد الله ﷺ أحب إلي من أمريكا وأوروبا مجتمعتين، ولكن الاعتراف بحسنات الآخرين منهج قرآني يقول تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾، وقد أقمت في باريس أراجع الأطباء وأدخل المكتبات وأشاهد الناس وأنظر إلى تعاملهم فأجد رقة الحضارة، وتهذيب الطباع، ولطف المشاعر، وحفاوة اللقاء، حسن التأدب مع الآخر، أصوات هادئة، حياة منظمة، التزام بالمواعيد، ترتيب في شؤون الحياة، أما نحن العرب فقد سبقني ابن خلدون لوصفنا بالتوحش والغلظة، وأنا أفخر بأني عربي؛ لأن القرآن عربي والنبى عربي، ولولا أن الوحي هذب أتباعه لبقينا في مراتع هبل واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ولكننا لم نزل نحن العرب من الجفاء والقسوة بقدر ابتعادنا عن الشرع المطهر، نحن مجتمع غلظة وفضاظة إلا من رحم الله، فبعض المشايخ وطلبة العلم وأنا منهم جفاة في الخلق وتصحر في النفوس حتى إن بعض العلماء إذا سألتهم اكفهر وعبس وبسر، الجندي يمارس عمله بقسوة ويختال ببديلته على الناس، من الأزواج زوج شجاع مهيب وأسد هصور على

زوجته وخارج البيت نعمة فتحاء، من الزوجات زوجة عقرب
تلدغ وحيّة تسعى، من المسؤولين من يحمل بين جنبيه نفس
النمرود بن كنعان كبيراً وخيلاً حتى إنه إذا سلّم على الناس يرى
أن الجميل له، وإذا جلس معهم أدى ذلك تفضلاً وتكرماً منه،
الشرطي صاحب عبارات مؤذية، الأستاذ جاف مع طلابه، فنحن
بحاجة لمعهد لتدريب الناس على حسن الخلق وبحاجة لمؤسسة
لتخريج مسؤولين يحملون الرقة والرحمة والتواضع، وبحاجة
لمركز لتدريس العسكر اللياقة مع الناس، وبحاجة لكلية لتعليم
الأزواج والزوجات فن الحياة الزوجية، المجتمع عندنا يحتاج
إلى تطبيق صارم وصادق للشرعية لنخرج من القسوة والجفاء
الذي ظهر على وجوهنا وتعاملنا، في البلاد العربية يلقاك غالب
العرب بوجوه عليها غبرة ترهقها قترة، من حزن وكبر وطفش
وزهق ونزق وقلق، ضقنا بأنفسنا وبالناس وبالحياة، لذلك تجد
في غالب سياراتنا عصياً وهراوات لوقت الحاجة وساعة المنازلة
والاختلاف مع الآخرين، وهذا الحكم وافقني عليه من رافقني
من الدعاة، وكلما قلت: ما السبب؟ قالوا: الحضارة ترقق الطباع،
نسأل الرجل الفرنسي عن الطريق ونحن في سيارتنا فيوقف
سيارته ويخرج الخارطة وينزل من سيارته ويصف لك الطريق
وأنت جالس في سيارتك، نمشي في الشارع والأمطار تهطل
علينا فيرفع أحد المارة مظلته على رؤوسنا، نزدحم عند دخول

الْفندق أو الْمُسْتَشْفَى فيؤثرونك مع كلمة التأسف، أجد كثيراً من الأحاديث النبوية تُطبَّق هنا، احترام متبادل، عبارات راقية، أساليب حضارية في التعامل، بينما تجد أبناء يعرب إذا غضبوا لعنوا وشتَموا وأقذعوا وأفحشوا، أين منهج القرآن: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ .

وفي الحديث: «الراحمون يرحمهم الرحمن»، «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، «لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا».

عندنا شريعة ربّانية مباركة لكن التطبيق ضعيف، يقول عالم هندي: (المرعى أخضر ولكن الغنز مريضة).
واتّبِعْنَا هَادِيًا مِنْ يَثْرِبِ.



امراة تنادي، فهل من مجيب؟

أصبح مال المرأة وسيلة لابتزازها وقهرها من قبل زوج غشوم ظلوم، أو والدٍ قاسٍ جاف، أو أخ قاطع عاقٍ، وهناك عشرات القصص تثبت أن سبب عضل المرأة عن الزواج وظلمها هو مالها الذي كسبته إما من ميراث أو وظيفة أو تجارة، هناك أب عامي جلف جاهل بالشرع المطهر منع ابنته المطلقة أم ثلاث بنات من الزواج؛ لأنه يبتز راتبها كل شهر فكلما تقدم لها الكفء وضع في طريقه ألف عقبة من شروط وتعهدات حتى يفشل موضوع الزواج، ومات رجل عن زوجته ولها منه أربعة أبناء فذهبت لوالدها الضعيف الهش وأخويها العاقين مدمني المخدرات فأذاقوها صنوف العذاب؛ لأنها مدرّسة لها راتب شهري وكلما استنجدت بوالدها خارت قواه وجبنت نفسه أمام سطوة الابنين الفاجرين الفاشلين والتجأت بأطفالها إلى الجيران خوفاً من ضرب أخويها في مشهد مأساوي، ووُجد آباء جشعون طامعون حبسوا بناتهم من أجل رواتبهن حتى فاتهن ركب الزواج وذبلت عندهن زهرة العمر، وفي المجتمع رجل شرس الأخلاق جافي الطباع بخيل النفس قاسي القلب منع بناته الست من الزواج؛ لأنه يسلبهن رواتبهن في آخر كل شهر، حتى اتصلت إحداهن بأحد العلماء وهي تبكي وتدعو على والدها بأن يحرمه الله

الجنة كما حرمها الزواج، وزوّج رجل مسنّ أحمق ابنته فاشتراط لنفسه ألفي ريال في كل شهر من راتب ابنته حتى بعد الزواج ضريبة على هذه المسكينة الأسيرة مقابل أن يسمح لها بالزواج، وطلّق عشرات الأزواج زوجاتهم؛ لأنهن رفضن إعطاءهم رواتبهن كاملة غير منقوصة، وكأن المرأة سلعة تُباع وتُشتري أو (بقالة) تُدر الربح لصاحبها، لقد صار مال المرأة عبئاً عليها في كثير من الحالات فشقيقت به بدل أن تسعد به، وأذلّها به أبٌ رعديد جبان شره أو زوج مخذول ناقص الأهلية فاقد القوامة، أو أخ حاقد ضحل المروءة فاقد الشهامة، وإذا اشتكت المرأة للقضاء ردوها لأوليائها القساة الظلمة فصار الخصم هو الحكم والشاهد هو العدو والمرأة هي الضحية، هناك سيل جارف من الشكاوى في المحاكم من هذا الظلم الواقع على المرأة بسبب راتبها، وعسى أن تقام لجنة لحقوق المرأة تستقبل هذه القضايا وتحلها ويكون للدولة سلطة على هؤلاء الأوغاد المردة يُبتدأ بنصحهم ووعظهم وإرشادهم، فإن لم يُجد فبتأديبهم بأسواط وحبسهم أياماً وأخذ التعهد عليهم فإن الله يردع بالسلطان ما لا يردع بالقرآن، أين تذهب المرأة وإلى من تشتكي؟ من يسمع صراخها؟ ومن يمسح دمعها؟ ومن يقيّل عثرتها؟ ومن يجبر كسرّها؟ إذا كان أبوها جباراً عنيداً، وزوجها شرساً مريداً، وأخوها عاقاً عنيداً، وابنها أحمقٌ بليداً، والقضاء يضيّع شكواها في دهاليز التحري والتأمل

والدولة لا تغير هذا الأمر اهتماماً، ونستطيع أن نصنّف مجلدات في قصص القهر والكبت والظلم والعضل والإذلال الذي تتعرض له المرأة في مجتمعاتنا، لقد أعلن أبو بكر الصديق في أول يوم من خلافته سياسة حكومته الجديدة فقال: (الضعيف فيكم قوي حتى أخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه)، ووقف عمر مع جارية حتى ردّ الحق لها، وقبل ذلك يقول معلم البشرية ﷺ: «الله الله في النساء فإنهن عوان عندكم» يعني: أسيرات، ارفعوا صوت الظلم عن المرأة، شكّلوا لجاناً لمناصرتها، وخذوا على يد السففيه الأرعن وأنصتوا لآهات المحرومات وزفرات المظلومات وأنين المضطهدات وتوجّع المقهورات، قبل أن تُشكّل لجاناً للرفاة بالحيوان، دعونا نشكل لجاناً للرحمة بالإنسان، وهيا نشارك الشاعر في صرخة استغاثة بالحي القيوم إذ يقول:

إذا جار الظلوم وزاد بغياً

وقاضي الأرض أجحف في القضاء

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ

لقاضي الأرض من قاضي السماء



أيام في طهران

سافرت إلى طهران ومعى الدكتور يحيى الهنيدي والشيخ سعيد الغامدي نبحت عن ديوان الشاعر العالمي السعودي الشيرازي الإيراني، ومن خلال بحثنا أردنا أن نعرف إيران الوجه الآخر من الرواية وسألنا عن كثير من كتب أئمة الإسلام المشهورة فلم نجد لها عيناً ولا أثراً مع العلم أن هذه الكتب ليس فيها مصادمة للفكر الشيوعي بل وجدنا كتباً تحمل روايات بلا أسانيد، روايات غريبة عجيبة لا أدري كيف مرّت وانطلت على ملايين البشر، تخبرك هذه الروايات بحال الصحابة مع القرابة وأن هناك إحناً وبغضاء وعداوة متأصلة، وكأن الصحابة لا همّ لهم إلا الكيد لأهل البيت والتريص لعلي وفاطمة رضوان الله عنهم، وكأن أبا بكر وعمر وهما شيخا الإسلام وخليفتا الرسول ﷺ كان يجتمعان كل ليلة للتخطيط والمؤامرة على حرب آل محمد والنكاية بالبيت الطاهر والنسب الباهر، هذه الروايات الملفقة المدسوسة المغشوشة المكذوبة تخرّج أجيالاً حاquدين على سلف الأمة وأصحاب الرسول ﷺ، وهذه الروايات قنابل موقوتة تؤجج الحقد الطائفي، والتعصب المذهبي، وتغرس الكراهية في النفوس، إننا ننادي صباح مساء بحرمة دم السني والشيوعي وضرورة الكف عن الشتائم وزرع العداوات، ولكن ماذا نفعل أمام سيل جارف من الروايات الدخيلة التي تتسف كل جهود

الخيرين والمعتدلين، روايات تلعن الخليفتين أبا بكر وعمر، وتسب أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بأقذع السب، وتشتم الصحابة وتذكي نار العداء لخير جيل عرفه التاريخ بل تعارض القرآن جملة وتفصيلاً؛ كقوله تعالى في وصف الصحابة ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ إنها روايات تخالف العقل والمنطق والبرهان وتنسف كل دعوة طيبة للتعايش وتحريم الاقتتال، إن أهل السنة في العالم أكثر من مليار مسلم سنّي من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة بل الدول الإسلامية كلها سنّية إلا دولة وبعض الطوائف في دول، فهل معنى ذلك أن هذه الملايين ضالة وجاهلة وملبس عليها في مسألة كبرى وهي الموقف من قرابة الرسول ﷺ وأصحابه؟ لقد درسنا الماجستير والدكتورة في علم الحديث دراية ورواية دراسة علميّة مسؤولة محايدة فوجدنا أن تلك الروايات التي تتهم الشيخين والصحابة بعداوة القرابة روايات مكذوبة مزوّرة، لماذا لا نرفع جميعاً شعار (الترضي عن القرابة والصحابة) كما نفعل نحن أهل السنّة، إنني باسم كل مسلم ومسلمة أدعو حكومة طهران إلى إعلان تحريم سب الصحابة إعلاناً عاماً صريحاً وإلا فكيف نأمن على نفوسنا إذا كان أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة والصحابة عرضة للسب واللعن، بل يتمنى البعض لو أدرك أبو بكر وعمر ليقتلهما،

وأدعو إلى تحريم إيذاء السنِّي للشيوعي والشيوعي للسنِّي، السني حرام الدم، والشيوعي حرام الدم، ندعوكم لحذف روايات الإفك والزور والبهتان؛ لأنها ألغام تتفجر في كل عصر وضحيتهما نحن المسلمين، ولنستمع لقول ربنا عز وجل بعدما زكى المهاجرين والأنصار قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. وبالمناسبة فالشاعر السعدي الشيرازي الذي كنا نبث عن ديوانه في طهران له قصيدة عالمية تُرجمت بكل اللغات الحيّة في العالم تدعو إلى المحبة والإخاء ونبذ الفرقة يقول فيها:

قال لي المحبوبُ لما زُرّته:

من ببابي؟ قلتُ: بالباب أنا

قال لي: أخطأت تعريف الهوى

حينما فرقت فيه بيننا

ومضى عامٌ فلمّا جنّته

أطرقُ الباب عليه موهنا

قال لي: من أنت؟ قلتُ: انظر فما

ثمّ إلا أنتَ بالباب هنا

قال لي: أحسنت تعريف الهوى

وعرفت الحبّ فادخل يا أنا



ثقافة الموت

أكثرنا من ثقافة الموت قراءةً وتطبيقاً ومحاضرات ودروساً، نحن خُلِقنا للحياة ولكننا حوّلنا حياتنا إلى الموت، فغالب الخطب والدروس تتحدث عن الموت وتهمل الحياة، وأنا أعلم أن الموت لا بد منه، والاستعداد له واجب، ولكن قبل أن نموت علينا أن نعيش وقبل أن نرحل علينا أن نبني وأن نعمر، وقبل أن نودّع الحياة علينا أن نترك أثراً جميلاً وذكرًا حسنًا من عمل صالح وخُلُق نبيل ومشروع نافع وذرية طيبة ومؤسسة رائدة وكتاب مفيد ونحو ذلك من صنوف البر والإحسان، إن الحياة في سبيل الله أعظم من الموت في سبيله؛ لأن الحياة في سبيله سبحانه طويلة وجميلة فيها علم وعمل، ومعتقد وأخلاق، وأخذ وعطاء، ودنيا وآخرة، وحقوق وواجبات، أما الموت فهو لحظة انتقال من الدنيا إلى الآخرة، إن كثيراً من الخطب تدعونا إلى ترك الدنيا واليأس والقنوط والإحباط، فأصبح الناس لا يفكرون إلا في طريق التخلص من الحياة، وصار عندهم قناعة أن هذه الحياة لا تستحق الاحتفاء والاهتمام بها، وتكونت لدى الكثير فكرة أنه لا داعي لأن نعيش طويلاً وأن الأفضل اختصار هذه الحياة والانتقال للآخرة، لأنّ الأبرار وعلى رأسهم رسول الهدى ﷺ بنوا الحياة وشادوا الحضارة وأسسوا القيم الراشدة وبنوا صروح

المعرفة، أما أرسل جيوش الفتوح تنشر العدل والأمن والإيمان في العالم؟ أما سار الخلفاء بعده يواصلون مسيرة الإعمار والبناء ونشر ثقافة الحب والسلام؟ فخلف من بعدهم خلف ضاقوا بالحياة وبأهلها لأمراضهم النفسية وعقدتهم الروحية، فزهّدوا العالم في علمه، والمهندس في آله، والنجار في فأسه، والمزارع في حقله، والطبيب في مشرطه، وأرادوا من الجميع أن يتركوا دورهم في الحياة ويلبسوا الأكفان استعداداً للموت، لا وألف لا، سوف تكون الحياة أكثر جمالاً دون هؤلاء المنفرين القانطين المحبطين، إن الحياة في سبيل الله رسالة عظيمة ربّانية يتحول بها الإنسان من صفر لا قيمة له إلى رقم صعب له قيمته، فيصبح التاجر فرحاً مسروراً بتجارته المباركة حيث يأخذها من حلال ويصرفها في حلال، ويصبح الفلاح مغرداً منشداً في حقله؛ لأنه يعلم أنه مأجور من الله ومشكور من خلقه، ويصبح الأستاذ مستبشراً بفضل الله وهو يعلم أنه يُعلّم جيلاً ويثقف أمة ويهدي قلوباً، ويصبح الجندي مطمئناً لمهنته وهو يحمل بندقيته يحرس بها الأمة ويحمي بها الوطن ويدافع عن المكاسب.

أيها العلماء حببوا الحياة في سبيل الله للناس ليشعر الإنسان أن لوجوده معنى، ولخلقهِ حكمة، ولحياته هدفاً، حينها نترك حياةً جميلة وحضارةً مباركة كما تركها أجدادنا لنا، إن الذي يفكر كيف يموت سوف يقف نتاجه وينتهي إبداعه ويموت نفعه،

أما الذي يفكر كيف يعيش فسوف يشرق كما تشرق الشمس،
ويسطع كما يسطع الفجر، وينفع كما ينفع الغيث، إن القرآن دعا
لحياتين ومشهدين ومرحلتين للحياة في سبيل الله والموت في
سبيل الله:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.



كارثة: (قبيلي وخضيرى)

(خط ٢٢٠ وخط ١١٠)

انتشرت في مجتمعاتنا مقولة: (قبيلي وخضيرى) وهي من مخلفات الجاهلية، ومن نفايات العصبية القبلية التي جاء الإسلام بكسر أصنامها، وتمريخ أنوف أصحابها بفأس ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، والفاشل في الحياة يتعلّق بعظام الأموات فيفتخر بالأباء والأجداد، والمحبط والتافه يغنيّ بأمجاد ليست له، وقد رفع الإسلام أقواماً من كافة الألوان والشعوب والأسر؛ لأنهم اعتزوا بدينهم، وحققوا الفضيلة في حياتهم، وحملوا رسالتهم بصدق، وأدّوا أمانتهم بإخلاص، وكان من نجوم التاريخ أناسٌ لا تُعرف قبائلهم ولا عشائريهم، ولكنهم احتلّوا مكان الصدارة، وجلسوا في كرسي الريادة، واستولوا على مقاليد السيادة بهمتهم وطموحهم وصلاحهم وإبداعهم، كبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وطارق بن زياد، وجوهر الصّقلي، وأبي حنيفة، وألوف مؤلّفة من أمثالهم وقف لهم التاريخ احتراماً، ووقع لهم الدهر براءة اختراع المكارم والمُثل العليا والسيرة الحميدة، وحاول محمد بن عمرو بن العاص الأمير ابن الأمير في مصر أن يخرم قاعدة «الناس سواسية كأسنان المشط، كلكم لآدم وآدم من تراب»، لأن قبلياً سبق فرس محمد بن عمرو، فلطم محمد بن عمرو

القبطي وقال له: أتسبقني وأنا ابن الأكرمين؟ فشكى القبطي إلى عمر ابن الخطاب هذه المظلمة، فاستدعى عمر أمير مصر عمرو بن العاص وابنه محمداً إلى المدينة وجمع الصحابة وأخذ درّته وقال: والله لا يحول بيني وبينهما أحد، فطرح محمد بن عمرو أرضاً وبطحه وجلده وصاح في وجهه وفي وجه أبيه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ وعندنا اليوم مرض اجتماعي عند البعض يُسمى (عدم الثقة بالنفس) فتجده لنقصه وتقصيره وخموله وفشله يبحث عن مشجب يعلّق عليه هزائمه وإخفاقاته، فيلمز هذا في نسبه، ويغمز ذاك في عرضه، ويهمز الآخر في أخلاقه، وقد شكى إليّ شاب جامعي اضطهاد زملائه له في الفصل بأنه خضيرى حدثني بذلك وعيناه تترقرقان بالدموع؛ لأن هؤلاء الطلبة الفاشلين لما أقفرت قلوبهم من القيم وجفت أرواحهم من المروءة أرادوا أن يخرقوا سفينة الإخاء والمحبة التي أتى بها الإسلام، ونقول لكل أحمق بليد يفرّق بين أبناء المجتمع الواحد على حسب أصولهم: (اخرس يا جبان) فقد خالفت الشرع والعقل وسعيت في الهدم والإفساد، ونقول لكل رعديد غبي يعيّر الناس بأنسابهم ويعيبهم بأحسابهم: (اخرس يا جبان) لو كنت تحمل طيب المعدن وأصالة المحتد لكنت عرفت أن الإنسان بتقواه وبعلمه وصلاحه وإبداعه، إن

أبا لهب الهاشمي القرشي لما حارب الله وكذب الرسالة ورفض الحق عاد بالخبية والندامة وأصبح من الخاسرين، وإن بلالاً الحبشي لما أطاع ربّه واتّبع رسوله ﷺ وملاً قلبه بالنور صار رمزاً من رموز الفضل والخير والنبل والفلاح في أمة الإسلام، أيها المثير النعرات الجاهلية، والموقد نار العصبية القبلية: (اخرس يا جبان) إن الإسلام لم يترك لك أن تلغ في أعراض الناس كما يلغ الكلب في الإناء، بل حدّرك وأمثالك من اللعب بالنار، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ولا شك في أن المعادن الطيبة إن كان لصاحبها عمل صالح وإنتاج نافع وهمة عالية ومروءة سامقة فإن ذلك نور على نور، ولكن ماذا نفعل بمن أصله طيب وأسرته عريقة ولكنه كذاب أشير وخبيث متمرد وأفّاك أثيم، تجده لصاً في حياته أو مروّجاً للمخدرات أو محارباً للقيم أو بخيلاً ذليلاً خاسئاً، أو تافهاً ناقصاً حقيراً، يقول أبو الطيب:

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ

فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

هل يريد هؤلاء (الطرايطير) أن يعيدوا الأمة إلى عهد (داحس والغبراء) وعصر (عبس وذبيان) أو إلى ملاعب الوثنية والتمييز العنصري في الولايات المتحدة قديماً وجنوب أفريقيا، يجب أن

نَفْهَمُ كُلِّ (أَبْلَه) أَنْ دِينَنَا أَتَى لِإِكْرَامِ الْإِنْسَانِ وَحِفْظِ حَقُوقِهِ وَأَنَّهُ
وُلِدَ حُرّاً عَبْدًا لِلَّهِ لَا عَبْدًا لْغَيْرِهِ، لَيْسَ عِنْدَنَا فِي الْإِسْلَامِ خَط
(٢٢٠) وَلَا خَط (١١٠)، عِنْدَنَا خَطٌ وَاحِدٌ، يَقُولُ سَبْحَانَهُ: ﴿يَا
أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.



لا تحزن يا مشعل السديري

ذكر الكاتب اللامع الأستاذ مشعل السديري في إحدى مقالاته كتابي (لا تحزن) فأثنى على مبيعات الكتاب وأنها تجاوزت المليون نسخة، والصحيح أنها تجاوزت المليونين نسخة بشهادة مكتبة العبيكان وهذا بالعربي فقط، وقد تُرجم بأكثر من عشرين لغة (وخاب من افتري) وقد دُعيت بإندونيسيا فوجدته الأول عندهم بلغتهم، وأظن أن هذا ليس فيه مؤامرة بين المؤلف والمكتبات وليس للصهيونية العالمية يدٌ في مثل هذا الأمر وبعضهم لا يعترف بهذا؛ لأنه معجب فحسب بالكتاب الأجانب من أسكتلندا أو كلورادو أو سدني، وكما قالوا: (زامر الحي لا يطرب)، وقد وصلني والحمد لله الشاء من مسؤولين وعلماء ومتقفين وأشار إلى هذا بعض كتّاب الشرق الأوسط مثل الكاتب القدير سمير عطا الله، وما هو ذنبي أن ينجح هذا الكتاب هذا النجاح ويصبح الأول في العالم العربي؟ وأما جائزة نوبل فما كان قصدي الحصول عليها ولن أردّها إذا أنصفوني ومنحوني إياها وأنا أنتظر، وكلما حان موعد إعلان الفائزين بها تسمرّت أمام التلفاز وقلت: (يا ربّ عسى اسمي يجي) مع العلم أن بعض الإخوة أخبرني أن في لجنة جائزة نوبل بعض الأشخاص لا يرتاحون لي حسبي الله عليهم، جمّد الله الدم في عروقهم، ومن

الذي حلَّها لنجيب محفوظ وحرَّمها عليّ؟ ولئن طال بكم عمر لتسمعون ما يسرَّكم، والأستاذ مشعل السديري كان محترماً فيما كتب عن (لاتحزن) وعني وله الشكر، أما ملاحظاته عن نسبتي للرسول ﷺ كلاماً لم يقله فإنني ذكرته بلسان الحال لا بلسان المقال يقول المحدث أبو عبد الله الأزدي:

وجوّزوها بلسان الحال

والحظر عندهم من المقال

أي: الرواية بالمعنى، وتخصصي حديث نبوي درسته في الجامعة والمسجد والبيت حتى شاب رأسي وثلث لحيتي، وليعذرني أخي مشعل فما زلتُ في غيبوبة من هول الصدمة لمبيعات (لاتحزن) في العالم وأظنني أشارك الكاتب في الأسلوب السهل البسيط لإيصال المعلومة للقارئ بخلاف من ألف كتاباً فاستخدم فيه العبارات النخبوية، والمفرقات الثقافية، والبالونات الخطابية، وطبع منه ثلاثة آلاف نسخة فبقيت في كراتينها وأخذ بعضها يهديها مع التحية لزملائه، ولولا التبجح لأخبرت أخي مشعل السديري بأسماء من ذكر لي إعجابه بكتاب (لاتحزن) من العلماء والزعماء وصنّاع القرار، والميدان يا حميدان، أكبر شاهد يا إخوان، وقد ذكرت جريدة المدينة نقلاً عن هيئة الإذاعة البريطانية أن صدام حسين كان يصحب في السجن كتاب (لاتحزن) للعبد الفقير (أنا) ولهذا رزقه الله الميتة

الحسنة فتشهد، فمن أراد أن يموت مشنوقاً شريفاً فليقرأ كتاب (لاتحزن)، بل إن بعضهم قرّر أن يموت فقراً (لاتحزن) فعاد إلى الحياة، أما كثرة التأليف فأنا ألفت في سبعة فنون ومتفرغ تماماً للقراءة والتأليف، وأنا أسامح من كل قلبي من لا يريد أن يقرأ لي، أما ما ذكره الكاتب السديري عن النجومية فهذا عصر الإعلام والفضائيات، وأما تناؤه عليّ فالطيب من معدنه لا يُستغرب فهو من أسرة الجود والمجد (السداري) كما قال شاعر عتيبة:

يا مرحباً (بالسداري) يا خوال الملوك

ولو ألف الأخ مشعل بأسلوبه السهل الممتنع البسيط الساخر
لأصبح في الشرق كبرناردشو في الغرب.



ماهي حقيقة العيد؟

الكثير من المسلمين جعلوا من العيد مظاهر من اللباس الجديد والأفراح وتبادل الزيارات والجلوس على الموائد وهذا مباح في حدود الشرع، ولكن أين المقصد الأسمى من العيد وهو غسل القلب من الأحقاد والمصالحة مع عباد الله وتطبيع العلاقة مع المؤمنين وتطهير الضمير من الخيانة والخبث والمكر، وإصلاح الداخل بالإيمان والحب والسلام، ما معنى أن نلبس ثياباً جديدة فارهة على قلوب عشعش فيها الحسد والبغضاء وفرّخ فيها الكره والضعينة والغل؟ ما معنى أن نتبادل يوم العيد ابتسامات صفراء وقلوبنا تحترق بالإحن والشحناء؟ إن العيد مد جسور المحبة مع إخواننا وجيراننا وإصدار عفوٍ عامٍّ عن كل من أساء إلينا ومسامحة كل مقصر في حقنا؛ ليكون للعيد معنى وتكون للفرحة قيمة، كيف أجلس مع أخي وصديقي وجاري يوم العيد على مائدة الطعام وأنا لا أحب له من الخير ما أحب لنفسي وأكره له من الشر ما أكره لنفسي، إن العيد مناسبة إسلامية لإحياء الفرحة بالحق والدين الجديد الخاتم، وإظهار السعادة بنعمة الله علينا بالتآخي، فكيف نحوّلُهُ إلى مظاهر جوفاء لا رسالة لها إلا المباهاة والتعالي على الناس، وهناك مسلكان مذمومان في العيد :

أحدهما: من يدعو إلى ترك الفرحة بالعيد تضامناً مع مآسي المسلمين في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها وكأن الحزن والتباكي سوف يحرر الأرض ويحمي العرض ويطرده المحتل، بل علينا أن نفرح بالعيد امتثالاً للرسول ﷺ، وإظهاراً لفرحتنا الكبرى برسالتنا العظيمة رسالة الإسلام، وإغاظةً للشيطان وحزبه، وانتصاراً على النفس الأمارة، وكتباً لمشاعر الفشل والإحباط، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، والمسلك الثاني المذموم: تفريغ العيد من محتواه وتعطيل مقصده الأسمى وتحويله إلى صور باهتة من ولائم ضخمة وعزائم فخمة ومشتريات غالية، بينما المخبر معطل والباطن مجمّد من فرحة العيد، فعقوق الوالدين صارخ، وقطيعة الرحم حاصلة، والاعتداء على حقوق الآخرين قائم، والمسلك الصحيح في العيد أن نجتمع بين الجميل من لباس الأجسام والقلوب، وابتسام الفم والروح، ومصافحة اليد والنفس، وعناق أخوي يذهب كل بغضاء وهجر وقطيعة، إن العيد تجديد للقلب؛ ليكون بعد العيد أظهر وأنبل وأسمى، وليكون الإنسان عضواً صالحاً في المجتمع، ولبنة نافعة في صرح الأمة، وسوف يُحرم فرحة العيد عند المسلمين فرقتان لا يجدون له طعماً ولا يبصرون له نوراً ولا يفرحون به مع من يفرح:

الفرقة الأولى: الغالي في دين الله والخارج على جماعة المسلمين والساعي لسفك دمائهم وإزهاق أرواحهم لأنه سيئ الفهم للشرعية ناظم على المجتمع رافض لمبدأ الأخوة مع المؤمنين.

الفرقة الثانية: العدو للدين المتحلل من تبعات الشريعة المعرض عن النور الرباني والهدي المحمدي، فهذا لا دخل له بالعيد، وهو نكرة في هذه المناسبة، وصفرٌ في هذه الفرحة الكبرى، وهو غريب على الأمة نشازٌ في الملة، عقيم الإدراك للمعاني الجليلة التي حفل بها الدين الإسلامي، وإنما يعيش الفرحة المؤمن العفيف الطاهر المتصالح مع الله ومع نفسه ومع الناس الهين اللين المتواضع للحق المحب للفضيلة البعيد عن الأذية السليم من عقارب البغضاء، وحيات الشحناء، وثعابين الحقد والحسد، هذا الذي فهم معنى العيد وعرف رسالة العيد وعاش فرحة العيد فنقول له: عيد سعيد، وعمر مديد، ومنهج رشيد، ومنقلب حميد، ومثوى مجيد.



وانك لعلى خلق عظيم

من منكم يقرأ أخلاقه عليه الصلاة والسلام ثم لا يهتز كيانه
وتسيل دموعه، ويذوب قلبه شوقاً؟ من منكم يملك عواطفه أمام
نبله وكرمه وشهامته وتواضعه ﷺ؟ من ذا الذي يطالع سيرته
الجميلة وصفاته الجليلة وأخلاقه النبيلة، ثم لا ينفجر باكياً
ويصرخ: أشهد أنك رسول الله؟ ليتنا نعامل أصدقاءنا كما عامل
رسولنا ﷺ أعداءه: «إن الله أمرني أن أصل من قطعني وأن
أعطي من حرمني وأن أعفو عمن ظلمني»، ليتنا نعامل المسلمين
كما عامل رسولنا ﷺ المنافقين، فقد صح عنه أنه كان يعفو عنهم
ويستغفر لهم ويكلُّ سرائرهم إلى الله، ليتنا نعامل أبناءنا كما عامل
رسولنا ﷺ الخدم والعمال، فقد كان له ﷺ غلام يهودي يخدمه
فمرض الغلام فعاده ﷺ وجلس عند رأسه وسأل عن حاله
ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم الغلام فقال رسول الله ﷺ وهو
مستبشر مسرور: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»، وقام
رجل من اليهود يتقاضى الرسول ﷺ ديناً في المسجد أمام الناس
ورفع اليهودي صوته على الرسول ﷺ وألحَّ بصخب وغضب
والرسول ﷺ يتبسم ويترقق به، فلما طال الموقف صرخ اليهودي
قائلاً: أشهد أنك رسول الله لأننا نقرأ في التوراة أنك
كلما أغضبت ازددت حليماً، آذاه قومه، طردوه، شتموه، أخرجوه،

حاربوه، ما تركوا فعلاً قبيحاً إلا واجهوه به فلما انتصر وفتح مكة قام فيهم خطيباً وأعلن العفو العام على رؤوس الأشهاد والتاريخ يكتب والدهر يشهد: «عفا الله عنكم اذهبوا فأنتم الطلقاء» طرده أهل الطائف ورموه بالحجارة وأدموا عقبه بأبي هو وأمي عليهما السلام فأخذ يمسح الدم ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»، يوقفه الأعرابي في الطريق فيقف معه طويلاً ولا ينصرف حتى ينصرف الأعرابي، تسأله العجوز فيقف معها مجيباً مترقفاً باراً حنوناً، تأخذ الجارية بيده عليه السلام فينطلق معها حتى توقفه على مشهدٍ أثر في نفسها، يحافظ على كرامة الإنسان واحترام الإنسان وحقوق الإنسان؛ فلا يسب ولا يشتم ولا يلعن ولا يجرح ولا يشهر وإذا أراد أن ينبّه على خطأ قال: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا؟ ويقول: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء» ويقول: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»، يخصف نعله، يخيط ثوبه، يكنس بيته، يحلب شاته، يؤثّر أصحابه بالطعام، يكره التزلف والمديح والتملق، يحنو على المسكين، يقف مع المظلوم، يزور الأرملة، يعود المريض، يشيع الجنازة، يمسح رأس اليتيم، يشفق على المرأة، يقرى الضيف، يطعم الجائع، يمازح الأطفال، يرحم الحيوان، قال له أصحابه: ألا تقتل الشرير الفاجر رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول؟ فيقول: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

أقرأُ سير العظماء والفاتحين والمجددين والمصلحين والعباقرة
فإذا قرأتُ سيرته ﷺ فكأنني لا أعرف أحداً غيره، ولا أعترف
بأحد سواه، يصغرون في عيني، يتلاشون من فؤادي، ينتهون من
ذاكرتي، يغيبون عن مخيلتي:

تعاودني ذكراك في كل لحظة

ويُورق فكري فيك حين أفكرُ

وأصرخ والآهات يأكلها الأسى:

زمانك بستان وروضك أخضرُ

أحبك لا تفسيرَ عندي لصبوتي

أفسر ماذا؟ والهوى لا يُفسرُ

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لن تغيب عنا، أنت في قلوبنا،
أنت في أرواحنا، أنت في ضمائرنا، أنت في أسماعنا وأبصارنا،
أنت في كل قطرة من دماءنا، أنت في كل ذرة من أجسامنا،
أنت تعيش في جوانحنا بسنتك وهديك ومُثلك العليا وأخلاقك
السامية، فديناك بالأنفس، فديناك بالأبناء والأهل جميعاً،
أرواحنا لروحك الفداء، أعراضنا لعرضك الوقاء:

أتسأل عن أعمارنا؟ أنت عمرنا

وأنت لنا التاريخ أنت المحررُ

تذوب رموز الناس مهما تعاظموا

وفي كل يوم أنت في القلب تكبرُ

صلى الله وسلم عليك كلما ذكرك الذاكرون، وصلى الله
وسلم عليك كلما غفل عن ذكرك الغافلون.

الإرهاب الفكري

منذ فجر التاريخ والعالم والمفكر بين فكّي السلطة أو الجمهور، فإن وافق السلطة وسايرها في كل أمر ظهر له من العامة من يدينه وينشر معائبه ويحذّر منه ويقمّصه ألقاب التبعية والإمعة، وعالم السلطة والمداهن والمشتري بآيات الله ثمنًا قليلًا، وإن خالف السلطة ووافق الجمهور حذّر منه السلطان على مذهب فرعون حيث قال للرأي العام عن موسى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ، فإن لم يردعه هذا أدب بالحبس وبالجلد تأديبًا له وردعًا لأمثاله، فإن استمر في عتوّه وصعد من معارضته قُطِع رأسه؛ ليرتاح منه العباد والبلاد، وقد حوكم سقراط وحضر محاكمته في أثينا خمسمائة قاضٍ ومحقق وشاهد ثم شُنق، وسلّط الحجاج على سعيد بن جبير فأعدمه صيانة للأمة من علمه الغزير وفهمه الثاقب، واجتهد الإمام مالك في مسألة فجّله أبو جعفر حتى خلع يده، ووُشي بالشافعي عند هارون الرشيد فأُحضر مقيدًا بالحديد من اليمن إلى بغداد، ووُقف الإمام أحمد في فتنة القول بخلق القرآن فمزّق المعتصم ظهره بالسياط، وأجلب العامة على ابن جرير الطبري فكبسوا بيته ورموه بالحجارة، ووُشي بابن رشد فحُكِم عليه بالإقامة الجبرية في بيته، واضطهد ابن خلدون بأفكاره حتى

ترك القضاء وهُدِّدَ حتى هرب إلى قلعة بشمال أفريقيا كتب فيها مقدمته ثم مات، ووُشي بالمتنبى عند سيف الدولة ففرَّ إلى كافور بمصر فحوَصِرَ ففرَّ إلى عضد الدولة بشيراز فضيَّق عليه فهرب إلى صحراء بني أسد فذُبِحَ كما تُذبح الشاة، وذهب حسَّاد ابن حزم الظاهري إلى السلطان فشهدوا عليه أنه ضال مبتدع متمرِّد فنفاه إلى البادية وأحرق كتبه وحذَّر الناس من شرِّه، وقام أعداء شيخ الإسلام ابن تيمية بحملة شعواء ضده وطالبوا بقتله صيانةً للدين بزعمهم فخُفِّفَ الحكم عليه بسجنه حتى مات، فإذا أراد أعداء النجاح وخصوم الحقيقة بأحد النابهين واللامعين شرّاً أوغروا صدر الحاكم عليه بحجة الحفاظ على الأمة والملة والمكتسبات حتى يبطش به، فإن نجى من هذه العصابة قام الجمهور عليه وانتقدوا آراءه وسعوا في القضاء على تراثه، والغالب أن العالم والمفكّر والشاعر يقع تحت سلطة الحاكم أو الجمهور، فإن أرضى الحاكم ورفق به ولم يخالفه في أي مسألة صار من ندمائه وأصفيائه، حينها ينقضُّ عليه الجمهور محدِّرين ومنذرين ومتربِّصين، فيفقد حضوره وجمهوره، وإن خالف الحاكم وأبدى رأيه وصدع بمخالفته تعلَّق به الناس في الغالب وجعلوه رمزاً للتضحية والشجاعة والتَّجرد، وحينها يعد له الحاكم العدة ويجهِّز له مراتب التأديب من منع وحظر، أو جلد وحبس، أو تصفية جسدية في الثلث الأخير من الليل على يد مجهول كما

تفعل الحكومات الثوريّة الفاقدة للشرعيّة والتي دخلت الأوطان على دبابّة مستعمر، فعلى طالب الحق والمنصف ألاّ يحاكم صاحب العلم والفكر من خلال رأي الحاكم أو الجمهور، لكن بالبحث والاستقراء في علمه وفكره كما قال علي رضي الله عنه: «اعرف الحق تعرف أهله، ولا تعرف الحق بالرجال»، وعلى العالم والمفكر والشاعر أن يتقي الله في قوله وعمله، ويقصد الحق ويتحرّى الصواب سواء أوافق الحاكم والجمهور أو خالفهما، وليتجنّب أهل العلم والرأي والفكر طريقتين: طريق التطبيل والتضليل للحاكم ولكن الاعتراف بالصحيح والتنبيه على الخطأ، وأيضاً عليهم مع الجمهور أن يجتنبوا منهج (ما يطلبه المستمعون) وهم الذين يبحثون عن كل ما يرضي الجمهور ويثير الرأي العام فيفعلونه طلباً للشهرة والمنزلة عند الرّاع.

﴿وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.



العمل أو الموت

رفع الألمان بعد الحرب شعار (العمل أو الموت) فتحوّلت ألمانيا إلى ورشة عمل، وبعد أربع سنوات صارت دولة صناعية مرموقة، وفي كتاب (متعة الحديث) يقول إسحاق نيوتن: النجاح يحتاج إلى ثلاثة عوامل: العمل ثم العمل ثم العمل، والعمل يبدأ بالعلم، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ والعلم يبدأ بالقراءة، وأمة لا تقرأ لن تتعلم ولن تعمل ولن تنال المجد، وفي مقال لي سابق بعنوان: (العرب لا يقرؤون) بيّنتُ ما يلزمنا في هذا الباب، وأمة لا تعمل لا تستحق البقاء، والإسلام جاء بالعلم والعمل، وقد أعطى الرسول ﷺ رجلاً فأساً وأمره أن يحتطب ويبيع لئلا يبقى عالة على المجتمع، وضرب عمر بن الخطاب شاباً جلسوا في المسجد وتركوا الكسب واعتمدوا على جيرانهم وصاح في وجوههم: اخرجوا واطلبوا الرزق فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وشارك الرسول ﷺ بنفسه في بناء مسجده وحضر مع الصحابة الخندق وقال: «إن الله يحب من أحدهم إذا عمل عملاً أن يتقنه»، وقال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، وكان إدريس خياطاً وذكرياً نجاراً وداود حداداً، ورعى موسى الغنم بالأجرة، ومن أسباب تقدم الغرب اعتماده على العلوم العملية التطبيقية فدخل المصانع والمعامل،

واعتمدنا على العلوم النظرية فانشغلنا بالجغرافيا حتى حفظنا عن ظهر قلب أسماء عواصم تشاد والسنغال وأوغندا، وحفظنا نقائص جرير والفرزدق وهي لا تُطعم خبزاً ولا ترفع مجداً، وأسرفنا في الفنون والرياضة على حساب الإبداع والاختراع والصناعة. والإنتاج خدعة شيطانية ولعبة إبليسيّة، فمنتخب الكمرون الرياضي أقوى من منتخب الولايات المتحدة الأمريكية، بينما عجزت الكمرون عن إطعام رعاياها الخبز اليابس، وإذا أرادت الشعوب أن يحالفها الإخفاق ويُختم لها بالخذلان تحوّلت من الجامعات إلى الكبريات ومن المصانع إلى مقاهي اللهو ومن الإنتاج والإبداع إلى لعب الورق وأكل الفصفص.

رأيت في ألمانيا (مزاين المرسيدس) وفي فرنسا (مزاين الكونكورد سابقة الصوت) وفي أمريكا (مزاين أف ١٦ العاصفة القاصفة) ولأننا أقمنا (مزاين الإبل) فينبغي أن نقيم مهرجانات (مزاين العقول) لنحيي فيها الموهوبين ونكرم المبدعين ونشجع المخترعين والمكتشفين.

فينبغي أن نعالج مرضانا النفسيين بالإيمان والعمل؛ لأن الفراغ يؤلّد لهم الخيالات الفاسدة التي توصل صاحبها إلى الانتحار، والعمّال أسعد الناس وأشرحهم صدوراً؛ لأنهم ليس عندهم فرصة للتفكير الخاطئ، وأي دولة لا تتحوّل إلى ورشة عمل هي دولة نامية نائمة كُتب عليها الموت، وإذا عملنا واجتهدنا

فسوف تتقلّص مشكلاتنا وبطالتنا وفقرنا وأمراضنا، ولنرفع
شعار (نأكل مما نزرع، ونلبس مما نصنع) وفي قصيدة: (أنشودة
الصباح) للروائي الهندي كاليدا ساي: «استقبل يومك بالعمل
فإن هذا اليوم قد لا يُشرق مرة ثانية».

إن عَرَقَ العامل أذكى من مسك الفاشل، وإن ساعد المثابر
أكرم من جبين الكسلان، وإن زفرات البَنَاء أجمل من غناء
المترف:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا

وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تَنَادِي

وَلَوْ نَارَ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتِ

وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ

شكراً لكل مسؤول جلس على كرسيه يعدل في القضايا،
ويقمع الظالم وينصر المظلوم ويواسي المنكوب، شكراً لكل أستاذ
وقف يصحح مفاهيم، ويصلح قلوباً ويبني عقولاً، شكراً لكل
طبيب يعالج مريضاً ويداوي مبتلى ويضمّد جراحاً، شكراً لكل
مزارع يغرس شجرة، ويعدّل ماءً ويحرث أرضاً، شكراً لكل جندي
يحمي ديناً، ويحرس وطناً، ويدافع عن أمة، شكراً للسواعد
القويّة والهمم الوثابة والأفكار الخلاّبة، وشكراً للناجحين.



الحج والنجاح الباهر

أُمرنا في الإسلام أن نقول للمحسن: أحسنت، ونقول لصاحب الجميل: شكراً، وباسم كل مسلم ومسلمة نشكر من استضاف الحجيج وسهّل لهم الخدمات ومكّنهم من أداء فريضة الحج ببسر وسهولة، وعلى رأس من يُشكر خادم الحرمين الشريفين وولي عهده والأمير نايف وجنوده البواسل، وقد أجمع العقلاء ممن حجّ على أن هذا الحج أسهل وأيسر وأنجح حج مرّ على الأمة منذ عشرات السنين، وقد حضر خادم الحرمين وأعضاء الحكومة في مكة يقودون الحجيج ويشرفون بأنفسهم على راحة ضيوف الرحمن فجزاهم الله خيراً وبارك فيهم، ومن المشاريع الضخمة التي تستحق وقفة إجلال مشروع توسعة الجمرات والمسعى، وقد سمعنا أن خادم الحرمين الشريفين سوف يضيف إلى تاريخه وسجل مكرماته مشروع القطار في المشاعر المقدسة؛ ليُعفي الحجيج من زحام السيارات ودخان العادمات وارتباك السير، وهي خطوة إذا تمّت جبارة فائقة، وأظن أن من الأسباب العظيمة في حفظ الله لهذه البلاد ودفاعه عنها ما يقوم به الولاة من خدمة الشُعْث الغُبر والسهر على راحتهم وأمنهم، ولا تزال هذه المكرمة تُساق لهذه البلاد وكلما زيدت الخدمة والتسهيل وتذليل الصعاب زاد الله الخير والأمن

﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، إن شرفنا بين العالم أننا حكومة وشعباً خداماً للحرمين الشريفين ومستقبلون لضيوف الرحمن على مدار العام حجاً وعمرة وزيارة، ينزلون في عيوننا ويسكنون قلوبنا لا نرى في ذلك منّة منّا على أحد بل الفضل والمنّة لله وحده، وقد تفضّل الله علينا بأن شرفنا بهذه الخدمة حتى صار لقب قائدنا وزعيمنا (خادم الحرمين الشريفين) والذي أريد أن أقوله هنا أن علينا أن نحمد الله غاية الحمد ونشكره أكمل الشكر وأتممه على أن سهّل الحج على ضيوف بيته فمرّ بيسر وسلام وأمن وإيمان بلا حوادث ولا صعوبات ولا مشقة، وعلينا أن نتطلّع للمزيد في مشاريع مقبلة بُشّرنا بها كمطار جدة الدولي الضخم وتوسعة طريق جدة مكة إلى غاية السعة، وأن نعلم أن دعوة من شيخ كبير أو من امرأة عجوز أو مسكين بئس أو من أشعث أغبر ترتفع إلى الحي القيوم لمن سهّل لهم سبل الحج، إن هذه الدعوة خير من الدنيا وما فيها، وإذا كان عند بقية العالم إنجازات في صنع السلاح وإنتاج القنابل واختراع الصواريخ فإنجازنا قيادةً وشعباً: حمل رسالة ربّانية وتحكيم شريعة محمّدية وخدمة بيوت الله واستقبال ضيوف الرحمن والحرص على أمن الناس وسلامتهم والصلح بين الأفراد والدول والشعوب وحراسة المثل العليا والمحافظة على الفضيلة والرقابة على الميثاق الربّاني المحمّدي عبر منهج وسط لا إفراط ولا تفريط يقوم على الكتاب والسنة،

وقد عاهدنا الله في بيعة مباركة يقول فيها والدنا وزعيمنا :
 (أعاهدكم على أن أجعل الإسلام منهجي والقرآن دستوري)، إن
 أهل الفضل في هذه البلاد من المسؤولين والعلماء ورجال الأمن
 والأغنياء يقومون بهذه الخدمة بكل تواضع وحب لا يباهون بذلك
 ولا يريدون من الناس جزاءً وإنما يرون أنها الأمانة الملقاة على
 الأعناق، والواجب المقدس الذي فرضه الله وضريته الصدارة
 العالمية، والحق الإنساني، والخلق الإسلامي، فشكراً لكل من
 أسهم في هذه الضيافة الكريمة بدايةً من كبير أسرتنا السعودية
 عبدالله بن عبدالعزيز ونهايةً بالرجل البسيط الذي لا يملك إلا
 أن يتسم في وجه الحاج والمعتمر ويقدم له شربة ماء أو يدله
 على الطريق، نحن جمعية إيمانية كبرى أعضاؤها كل صالح خير،
 ونحن مؤسسة إسلامية عظمت أفرادها كل صادق مخلص:

يَوْمٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ تَصْنَعْ أَشْعَثَهُ

شَمْسُ الضُّحَى بِلِصْنَعَانِهِ بَأْيَدِنَا

لَا تَشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا مِنْ نَوَاطِرِنَا

وَلَا يُرَى الْمَجْدُ إِلَّا فِي نَوَاصِينَا

وقال الشاعر الشعبي :

أَنَا مِنْ أَرْضِ الرَّسُولِ أَهْلُ الشَّرَفِ كُلِّهِ

نَسْعَى إِلَى الْمَجْدِ رَجَّالَهُ وَخِيَالَهُ

مَنَا عَمْرٌو الْمَتْنَى صَاحِبُ الثَّلَاثَةِ

وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بَدَارَنَا جَالَهُ

جبريل جا في بلدنا الوحي في ظلّه

ما جا بلندن ولا باريس بظلاله

وآخر الهدايا من الوالد (أبي متعب) هدية الحاج المتضمنة

المصحف الشريف مع كتيّبات عن الإسلام والحج في حقيبة

ملؤها الحب والسلام ليقول كل حاج لأبي متعب:

فعادوا فاثنوا بالذي أنت أهله

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق



مستعدون لحوار الأديان

الدعوة التي أطلقها خادم الحرمين الشريفين لحوار الأديان دعوة موفقة، متفقة مع منهجنا الإسلامي في حوار غير المسلمين؛ لأن معنا حجة من الله، وبرهاناً ساطعاً، ودليلاً قاطعاً، ومعنا دين عالمي ربّاني، يدعو إلى الحوار والمجادلة بالحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بل أمرنا سبحانه وتعالى أن ندعوهم إلى المناظرة والمحاورة بالأجمل من القول والأفضل من الأساليب، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. بل إن رسولنا ﷺ حاور أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وزارهم في أماكنهم، وأكل طعامهم، وزاروه في بيته، وأكلوا طعامه، وعرض عليهم الأدلة على صدقه وصدق رسالته، ونحن لا نخشى حوار الأديان؛ فعندنا -والحمد لله- من الحق الواضح الصريح والميراث المجيد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يبهز العقل، ويشرح الصدر، ويجعل المخالف المنصف يذعن للحجة إذا كان قصده الحق، وإلا فكيف نسمع دعوتنا العالم إذا أغلقنا أبواب الحوار، ورفضنا الجلوس مع غير المسلمين؟ ولماذا نخاف من مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل والفكرة بالفكرة، وليس عندنا شيء نخفيه؟ ومبادئنا قويّة صريحة واضحة وضوح الشمس تُعلن كل يوم خمس مرات

من على المآذن ومن فوق المنابر، وفي الجامعات والمنتديات، وعبر الفضائيات وفي الصحف والمجلات.

إن رسالتنا الإسلامية لم تأتِ لعدة ألوف من البشر، ولا لقبيلة من القبائل، ولا لدولة واحدة، ولا لجيل واحد، فالله يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ كل العالمين؛ الأبيض والأحمر والأسود، في كل زمان وفي كل مكان منذ فجر الرسالة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والواجب على علمائنا ودعاتنا أن يكون عندهم من القوة والرغبة في إيصال الحق الذي نعلم إلى كل العالمين، ولا بد من أن يستمع لنا أهل الكتاب كما استمعنا لهم كثيراً، وأن يؤمنوا برسولنا محمد بن عبد الله ﷺ وأن يؤقروه وأن يحترموه كما آمنّا بموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام ووقرناهم واحترمناهم .

إن من الأمم مَنْ وصله إسلامٌ مشوّهٌ قدّمه أناس من المسلمين ليس عندهم الأهلية لتمثيل الإسلام، فتعرّف أولئك القوم على صورة مشوّهة للإسلام ليست صورته الجميلة الباهية، فمن هنا وجب على الثقّات من أهل العلم والدعوة والفكر أن يقوموا بمهمتهم، فيشرحوا للآخرين تعاليم الإسلام الراشدة وأخلاقه الفاضلة، ويزيلوا اللبس الذي علق بأذهان خصوم الإسلام، ويرفعوا الإشكال والشبه التي تحكّمت في قلوب الجاهلين بالإسلام، وأنا

ضامن أن مَنْ ينصت لنا من غير المسلمين ويستمع لحجتنا ويتفهم رسالتنا وهو عاقل واع فسيذعن للحقيقة وينقاد للبرهان.

إن البيان أقوى من السلاح، وإن البرهان أمضى من السيف، وإن الحجة أنفذ من السهم، نحن في تاريخنا المشرق المجيد فتحنا القلوب والأسماع والأبصار بالحجج والبيّنات والآيات والعظات أكثر مما فتحنا بالكتائب والجيوش والسيوف والرماح، واسألوا إن شئتم إندونيسيا وماليزيا ودول أفريقيا والجمهوريات الإسلامية، هل وصلهم منّا جندي واحد أو دّبابة واحدة؟ بل أرسلنا لهم رسل سلام ووفود محبة من السيّاح والتجار، فلما رأى أولئك سيرة أبنائنا وصدقهم وأمانتهم وأخلاقهم النبيلة صاح لسان الحال منهم قائلاً: نشهد أن ديناً أخرجكم أنه دين حق، فاعتنقوا الإسلام ودخلوا في دين الله أفواجاً.

فيا خدام الحرمين، امضِ بالعلماء في مشروع إسلامي يقوم على الحوار والدليل ويجمّل صورة الإسلام ويشرح للعالمين أهدافنا الربّانيّة من توحيد الله - عز وجل - والرحمة بعباده وإخراج الناس من الظلمات إلى النور والتعايش السلمي مع البشرية وإنقاذ الضالين الذين يحاربون الله ورسله وهداية الحيارى إلى طريق الحق المبين، وصدق الله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

الملك عبد العزيز قائد الثورة

هذه الثورة أعظم ثورة في العصر الحاضر من حيث أثرها وعمقها وامتدادها ورسالتها، ثورة قويّة بيّنة المعالم، ثورة إسلاميّة مرجعها الكتاب والسُّنة ومنهجها الوسطية ومقصودها جمع الناس على توحيد الله ووحدة القلوب، ثورة وحدت أكثر من خمس دول كانت متصارعة متحاربة، وجمعت أكثر من مئة قبيلة كانت متناحرة متقاتلة، ثورة أنهت الخرافة والشركيّات والبدع، وقطعت دابر الشقاق والفرقة، ثورة قضت على النهب والسلب والفتن والعداوات، ثورة أوقفت المارقين واللصوص وقطّاع الطرق، وأمّنت السُّبُل، وجمعت الشمل ووحدت الكلمة، ثورة جدت الدِّين ونصرت المِلَّة ودمغت فنون التخريب والفساد في الأرض، ثورة كان بيانها رقم (١) لا إله إلا الله محمد رسول الله، والبيان رقم (٢) لا حُكْمَ إلا لله، والبيان رقم (٣) نحن وسط لا إفراط ولا تفريط. لقد قرأتُ تاريخ الثورات عبر قرون من الزمان فوجدتُ هذه الثورة من أصفها وأبعدها مدًى، وأقواها صدًى، وأحسنها هدىً، ثورة انفجرت كالبركان في مهبط الوحي ومهد الرسالة ومولد النور وقبلة العالم، ثورة جمعت أصول العروبة وأبطال الكفاح وحماة المجد وحفّاظ العقيدة وأحفاد المهاجرين والأنصار

وسلالة الفاتحين والمجددين، ثورة ليست قومية بل ربّانية عالمية، وليست حزبية بل توحيدية وحدوية، وليست شيوعية بل إسلامية شرعية، وليست اشتراكية بل محمدية سنية، وليست رأس مالية بل إلهية نبوية، ثورة حطمت ثكنات المشعوذين والسحرة، ودمّرت الزنادقة والأفاكين، فارتفع الأذان وصدحت المنابر بالعلم النافع، وسُلَّ سيف العدل يردع الظالم وينصر المظلوم، وقامت المدارس والجامعات واجتمع الدين والدنيا والمسجد والمصنع، واتصل بها الشمال بالجنوب وتعانق الشرق بالغرب، وصارت العشائر أسرة واحدة، هذه الثورة أساس شرعيتها الإسلام عقيدة وعبادة ومنهج حياة، هذه الثورة تلغي القوانين الوضعية، وتشطب على الدساتير الأرضية، وتسحق المبادئ الضالة والتعاليم الزائفة، وترفع مكانها النص المقدس والوحي المطهر، هذه الثورة تعبد الله وحده لا شريك له، قدوتها محمد بن عبدالله ﷺ، ودستورها الشريعة، ووجهتها الكعبة، ومطلبها رضا الله ومستقرها الجنة، وهذه الثورة وحدت مساحة تعادل أوروبا الغربية وتمتد من البحر إلى البحر، ومن الأرض إلى السماء، ومن المهد إلى اللحد، ومن المحراب إلى الفردوس الأعلى، وفي هذه الثورة وفي قائدها يصدق قول الشاعر:

إذا كان غاندي منقذاً فهو واهمُّ

وإن كان تيتو مصلحاً فهو مدبرٌ

وهتلر نازي ولينين مارق

وأخبار نابليون موت مقطر

وهذا حنيف مسلم ثابت الخطي

صلاة تؤدى أو كتاب يفسر

إنها ثورة العصر الحاضر، إنها حديث الركبان، إنها الثورة التي أنست كل ثورة، ولهذا انتصرت وآت أكلها ورفعت دعائمها ونصبت أعلامها وأسمنت الكون صوتها، ومن شاء أن يتأكد من صدق هذه الثورة ونفعها فليزرّ جزيرة العرب وليصل في الحرم ويعرج على نجد ويصعد سرة عسير ويعانق جبلي آجا وسلمى ويخاصر نخيل الأحساء ويرفل في بساتين القصيم، إنها ثورة السعوديين في العصر الحاضر، أما قائد الثورة فهو الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله تعالى.



من هو الإرهابي؟

ما زلتُ على إنصافي للغرب في جوانب من حياتهم في مجتمعاتهم، أما غيرها ففيهم متطرفون يتهمون المسلمين بالإرهاب، وهم أكثر إرهاباً، وأعظم تقيلاً وأشدُّ تنكيلاً، وسبب هذا الحديث أن المتطرف الهولندي جيرت فيلدرز بسبت قدّم (فلماً) قبيحاً عن الإسلام، وطعن في القرآن، واتهم المسلمين بالإرهاب ومن ضمن (الفلم) أخذ مقطعاً لي أتكلّم فيه عن جهاد المحتل، فمسخ الكلام وشوّهه ووظّفه في الدعوة إلى الإرهاب، فمن الإرهابي؟.

أليس الإرهابي من احتل العراق ودمّره وقتل أبناءه وذبح شيوخه ورمل نساءه وأحرق أرضه؟ أليس الإرهابي من أباد الشعب الفلسطيني وحاصره وجوّعه وعذّبه وحبسه ونكّل به؟ أليس الإرهابي من اجتاحت أفغانستان ومزّق أشلاء الأطفال ولعب بجماجم الرجال ودك المساجد ومزّق المصاحف؟ واقرؤوا كتاب (كنت رئيساً لـ CIA لـ ألن دلس) لتعرفوا أي إرهابي لديكم، أنتم نهبتم خيرات الشعوب وجوّعتم أطفالها، وأنتم بنيتم حضارتكم على جماجم البؤساء وضلوع الزنوج الذين حملتموهم بضائع على سفنكم، وأنتم نشرتم في الأرض الرعب والخوف والنفائات

النووية، سلوا مياه الخليج والبحار والمحيطات عن حاملات الطائرات والصواريخ عابرات القارات، هل نحن إرهابيون، والقتلى منّا، والأرض المسلوقة أرضنا؟ والخيرات المنهوبة خيراتها، والشعوب المسحوقة شعوبنا، والأطفال المروّعة أطفالنا؟ إن إرهابنا لكم مجرد نكتة عابرة، أما أنتم فأساطيلكم في بحارنا وقواعدكم في أوطاننا وطائراتكم في سمائنا وأنتم منذ قرنين من الزمان تعاملون غيركم معاملة المقهور المضطهد، ومنذ محاكم التفتيش في أسبانيا وحرب المئة عام بين فرنسا وبريطانيا وأنتم مُشعلو الحروب، أليست النازية من صنعكم؟ والمحركة إحدى إنجازاتكم التي تعترفون بها ونحن ندفع كفارة محرقتكم في فلسطين، وتريدوننا بعد هذا كله أن نكون معكم مسالمين طبيّين حلّوين مهذّبين مؤدّبين (كويّسين)؟ قاتل الله الطيش والسفه، وسحقاً للجور والعدوان، وتباً للعنجهيّة والاستكبار، ولقد قلتُ في المقطع الخاص بي من (الفلم): (إن المحتل لا يخرج إلا بجهد وتضحيات) فهل في هذا الكلام عوج أو خلل؟ أما أخرجتم أنتم المحتلين من بلادكم كهتلر في هولندا وبلجيكا وفرنسا وبريطانيا بجماجم وتضحيات؟ أما وحّدتكم بلادكم بالحديد والنار كالولايات المتحدة وألمانيا؟

إن الإرهابي هو الملحد المحارب لله المكذب للرسالات السماوية، إن الملحد هو المشوّه فطرةً، البغيض خِلقةً، الناكث

للعهود، العدو للقيم والمواثيق والأعراف، إن الإرهابي هو الخارج عن الجماعة المسلمة، الناكث للبيعة المكفر للمؤمنين، المستحل للدماء والأنفس والأموال، إن الإرهابي هو ناشر الدمار والرعب والمستولي على مقدرات الشعوب وخيرات الأمم.

نحن دعاة الإسلام رُسل سلام، وفود محبة تحمل رسالة إنقاذ ودعوة رحمة، وخطاب نجاة، ومشاعر فضيلة، ونصوص إيمان، ولقد آمنا برُسُلِكُم كموسى وعيسى عليهما السلام فأمنوا برسولنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولقد أنصفناكم في جوانب إيجابية من حياتكم فأنصفونا كما أنصفناكم، وأنصتوا لنا قليلاً فقد استمعنا لكم كثيراً: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

إن رسولنا ﷺ أخبرنا أن الله عذب امرأة بسبب أنها عذبت هرة في الدنيا وأن الله أدخل امرأة عاصية الجنة؛ لأنها سقت كلباً بلغ به العطش مبلغاً عظيماً وإن ديننا يُحرّم إحراق النمل وإيذاء البهائم فكيف بالإنسان؟ ديننا جاء لحياة النفوس لا لقتلها، والله يقول في كتابه العظيم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُّؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.



يا عقلاء السُّنة والشيعة

ما دمنا لم نستطع حل الخلاف بين السنة والشيعة وقد مضى عليه عشرات القرون فعلينا أن نعترف بأن الخلاف حاصل وأن الواجب علينا ألاّ نطور هذا الخلاف إلى صراع دموي، فكفانا جراحاً وتمزقاً، فعندنا نحن أمة الإسلام من المصائب ما يكفينا، والصهيونيّة العالمية تتربص بنا وتخطط لاجتثاثنا، ما فائدة إعادة خطب الشتم والتجريح والتحريض والاستعداد وذكر المثالب والمعائب عند الطائفتين؟ ما هو النفع المأمول من السعي لسفك الدم السنّي أو الشيعي؟ إن كل طائفة من السنّة والشيعة تعتقد صحّة مذهبها وبطلان المذهب الآخر، فلن تستطيع أن تغير قناعات الناس إذا أصروا عليها ولو كانت باطلة، نحن أهل السنة نعتقد أن الحق معنا كتاباً وسنّة، وإذا كان الشيعة يرون أننا مقصرون في حق أهل البيت، فإننا نعلنها صريحة قويّة بأننا نبرأ إلى الله من كل من هوّن من شأن أهل البيت أو تعرّض لهم أو سبهم، ونطالب الشيعة بالكف عن انتقاص الصحابة وسبهم وتلبهم؛ فالدفاع عن أهل البيت والصحابة واجب على كل مسلم ومسلمة، إن على عقلاء الطائفتين سنّة وشيعة أن يسعوا لواد الفتنة ومنع التصعيد وحذف عبارات التخوين والتربص والوعيد.

يا عقلاء السنة والشيعة، انزعوا فتيل الإحن، وأطفئوا نار
الفتن، ولا تزيدوا الأمة محناً على محن، يا عقلاء السنة والشيعة،
كلُّ يعمل على شاكلته، وكلُّ يسير على طريقته حتى يحكم الله
بيننا فيما اختلفنا فيه، يا عقلاء السنة والشيعة، لا تعطوا أعداء
الإسلام ذريعة لهدم صرح الأمة وإلغاء وجودها وطمس رسالتها
وإهانة مقدّساتها، يا عقلاء السنة والشيعة، حرّموا فتاوى القتل
وسفك الدم وإيقاد نار العداوة والفرقة والبغضاء، نحن المسلمين
سنّة وشيعة ندعو إلى التعايش السلمي والحوار مع غير المسلمين
أفنعجز عن أن نعيش سنّة وشيعة بسلام؟ إن الذي يعجز عن
إصلاح بيته عاجز عن إصلاح بيوت الآخرين، لمصلحة من يرتفع
صوت طائش أرعن ينادي: يا شيوعي، اقتل سنّيّاً وادخل الجنة؟
ويقابله صوت ينادي: يا سنّي، اقتل شيعياً فداءً لك من النار؟
أي منطق؟ أي عقل؟ أي دليل؟ أي حجة؟ أي برهان؟ بل نقول: يا
سنّي، دم الشيوعي حرام، ويا شيوعي، دم السنّي حرام، أما أن لنا
أن نصحو ونراجع نداء الضمير وصوت العقل وخطاب الشرع؟ لا
عدوان، لا ظلم، لا تحريض، لا إرضاء للأعداء بتمزيق صفوفنا،
وهدم بيوتنا بأيدينا، وقتل أنفسنا بخناجرنا.

أحسن طريقة لحل الخلاف بين السنة والشيعة أن يفعلوا فعل
الأعراب (البدو): فإنهم إذا صدم أحد منهم بسيارته سيارة الآخر

قالوا: كل واحد يصلح سيارته، عندها تنتهي المشكلة بلا مرور ولا غرامة ولا سجن، فيا سَنَّة ويا شيعَة: (كل واحد يصلح سيارته).

لقد أمرنا الله تعالى بحسن المعاملة مع غير المسلمين ما لم يقاتلونا أو يخرجونا من ديارنا قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وهذا مع غير المسلم، والبرُّ هنا كف الأذى وحسن الخطاب وجميل التواصل والتعايش السلمي فكيف مع طوائف الإسلام ولو كانت مختلفة متنازعة؟ ماذا يقول عنّا الآخرون إذا شاهدونا نكيل السباب لبعضنا لعناً وشتماً وتجريحاً وإهانة وسخرية؟ إن الإخوة أبناء الرجل الواحد إذا لم يصلحوا شأنهم ويقفوا صفاً واحداً أمام الناس فهم عرضة للعداوة والفرقة والفشل والهزيمة، دعونا من الخطب النارية البغيضة والكلمات الرعناء الجوفاء الحمقاء: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.



شيوخ الفضائيات

لما نشرت المجلة الأمريكية (فوربيز) أرقاماً بدخل الدعاة، منهم صاحب المقال العبد الفقير وسلمان العودة وطارق السويدان وعمرو خالد وعمر عبد الكافي، قام كثير من الصحفيين وبعض القنوات الفضائية بتوظيف الخبر والتعليق عليه والفرح به، ولي مع هذا الخبر وقفات:

١- إن دخلنا السنوي أنا وإخواني الدعاة والمذكور في المجلة الأمريكية لا يساوي مجتمعاً رواتب الخدم والسفرجية والقهوجية عند كثير من الأثرياء والوجهاء، فلماذا الصياح والنواح والدعوة بالويل والثبور، وعظائم الأمور، وقاصمة الظهور؟

٢- إن دخل الدعاة الخمسة لا يعادل دخل فنان واحد مشهور أو لاعب كرة عالمي، فهل المال حلال عليهم حرام على الدعاة؟

٣- هذه الأموال التي وصلت إلينا من كتبنا أو دروسنا هي نسبة قليلة مما تتقاضاه القنوات والمكتبات من حقوقنا، فلماذا نُلَام ونحاسب على شيء زهيد أخذ من مبالغ ضخمة حُوِّلَت لصالح وسائل الإعلام وبرامج عليها رعايات ودعايات لغيرنا؟

٤- إن أخذ الأجرة على العمل ولو كان دينياً أو جمع المال من الوجه الشرعي حلال في الإسلام بالإجماع، حتى التجارة مع فريضة الحج جائزة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وكان أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وابن عوف وغيرهم تجاراً وأغنياء كباراً.

٥- كيف نعيش وكيف ننفق على أهلنا إذا لم نأخذ نسبة ضئيلة من دخل أعمالنا وليس عندنا وظائف ولا أرضة بنكية ولا أسهم ولا شركات؟ هل نبقي عائلة على المجتمع وننضم للضمان الاجتماعي حتى نثبت لبعض إخواننا أننا زهاد وعباد وأولياء وأتقياء؟

٦- أما كوننا مشايخ فضائيات فنحن مشايخ فضائيات ولا فخر، وهذا الشرف حصلنا عليه بعد توفيق الله بجهدنا ومثابرتنا ولأننا نقدّم خطاباً معتدلاً صحيحاً وسطياً راقياً جذاباً يحطم أنوف الغلاة والمتحللين من الدين، ومن عنده قدرة على الحضور والمشاركة فالطريق أمامه رحب فسيح:

أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمْو

مِنَ اللُّومِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا

٧- أما المتاجرة بالدين فقصر الله ظهر من جعل الدين متاجرة أو احتال على المسلمين أو خدعهم في أموالهم أو غشهم أو

زَوَّرَ عَلَيْهِمْ أَوْ ظَلَمَهُمْ أَوْ تَسَتَّرَ بِالَّذِينَ لِيَلْعَبَ عَلَيْهِمْ ﴿١٠﴾ وَسَيَعْلَمُ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿١١﴾ .

٨- أين الأقلام الجريئة والألسنة الحادة التي تعرضت للدعاة
ممن خدع الناس في أرزاقهم في الأسهم والشركات الوهمية
واقتناص المال العام وأخذ الرشوة؟ ثم لماذا لا تُتشر أرقام
بدخل الأعيان والفنانين والرياضيين؟ وما معنى أن تقصد
مجلة أمريكية إعلام الناس بدخل خمسة من الدعاة؟

٩- نحن لا نأخذ من جمهورنا ولا محبيننا ريالاً واحداً وإنما
هذا الدخل من جهات غنيّة وثريّة تجمع الأموال من الدعاة
ومن غيرهم، بينما حضور المباراة وقاعات الغناء والفن
تُدخل ببطاقات مدفوعة الثمن، والحمد لله أن دَخَلَ الدعاة
الخمسّة قد أُعلن في مجلة أمريكية ليردّ على من قال:
إننا حصلنا على مئات الملايين من جهودنا الدعوية، وبإذن
الله سوف يستمر حضورنا في المساجد والقنوات والصحف
والمجلات، فأكرم البشر رسول الهداية ﷺ دعا إلى الله في
المسجد والنادي والسوق والحضر والسفر وخاطب الملوك
وراسل أمم الأرض وأسمع رسالته الخالدة كل العالم.



إنصاف الغرب لا يعني اتباعه

كتبتي مقالتي (نحن العرب قساة جفاة) عن مشاهداتي في باريس، ولا أجدني ابتعدت عن الصواب؛ فقد ذكرتُ جانباً من جوانب حياتهم، وقد يجتمع في الشخص والدولة والشعب والأمة حسنات وسيئات ومناقب ومثالب، وأذكرُ هنا مسائل:

١- لا يجوز التعريض بالدعاة وطلبة العلم بأنهم لم يفهموا الواقع ولم يطلعوا على حضارة الغرب ونحو هذه النغمة السائدة، وأنا قد سافرت إلى أوروبا وأمريكا مرات من قبل هذه الزيارة ووالله ما سافرتُ من السعودية إلى فرنسا إلا وقد اطلعتُ على تاريخ فرنسا الحديث مع كثير من كتب مفكريها ومثقفوها، ولي إلمام بتاريخ الثورة الفرنسية وصولاً إلى شارل ديغول الثوري الرمز مروراً بالرئيس بنبيدو السمين الضخم، تعريجاً على الرئيس المتألق (فلري جسكار دستان) تطويفاً على الرئيس الغامض النابه (ميتران) وصولاً إلى الرئيس المنظر (شيراك)، وأخيراً الرئيس المستعجل المطفوق (ساركوزي)، فهل يُظنُّ أنني كتبتُ المقال بناءً على مروري في شارع (شونزي ليزي)؟ وهذا لم يحصل.

٢- إن منهج الوحي كتاباً وسُنَّة يقوم على الإنصاف والعدل حتى مع غير المسلمين، وقد أنصف الله النصاري في كتابه فقال:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَن مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة إلا والروم أكثر الناس»، والروم هم أجداد الأمريكان والأوروبيين، وعلّق عمرو بن العاص على هذا الحديث بمدحهم ثم قال: (هم أمتع الناس للظلم)، فلماذا لا ننصفهم في هذا الجانب كما أنصفهم الله ورسوله والصحابة؟

٣- قبل أن أزور باريس بأيام نقلت (قناة العربية) و(قناة الجزيرة) مشهداً مؤثراً للرئيس الفرنسي (ساركوزي) وهو يصافح فلاحين، فمد يده إلى أحدهم مصافحاً ومسلماً، فقبض الفلاح يده وصاح في وجه الرئيس: أنا لا أصافحك، أنت رئيس كذاب!! فردّ عليه الرئيس بقوله: وأنت أحمق، فمال الرأي العام كله مع الفلاح ضد الرئيس، وهاجمت الصحافة الرئيس، ونقصت شعبية (ساركوزي) بسبب هذه الحادثة، فبالله لو قام فلاح عربي على رئيس عربي من الأنظمة الثورية القمعية الاستبدادية وقال له مثلما قال للرئيس الفرنسي فماذا ستكون النتيجة؟ طبعاً سوف ينادي الزبانية والجلادين بقوله: (خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه)، فلماذا لا ننصفهم كما أنصفهم عمرو بن العاص في هذه المسألة؟

٤- حاضرتُ أنا والدكتور سعد البريك والدكتور عبد العزيز المقحم والدكتور عبد الله الحارثي في مساجد باريس و(ليون) و(بروكسل) و(مدريد) وغيرها من المدن، وحضر من الجالية العربية التي فرَّ أكثر أفرادها من السجون والمعتقلات العربية من أنظمة قمعية ثورية استبدادية انقلابية ترفض تحكيم الشريعة الإسلامية فتعلّموا في أوروبا الطب والهندسة والطيران والتكنولوجيا، ومارسوا الدعوة في المراكز الإسلامية والمساجد ووسائل الإعلام، فهل تسمح لهم كثير من الأنظمة العربية بذلك؟ فلماذا لا ننصفهم في هذا الجانب؟

٥- أنكر أن الحضارة- ولو كانت مادية- ترقق الطباع، وهذا أمر معلوم متعارف عليه شرعاً وعقلاً، وفي حديث حسن يقول ﷺ: «من بدا جفا»، والمعنى: من سكن البادية وابتعد عن الحضارة صار في خلقه جفاء وفي طباعه قسوة، ولما سافرتُ إلى أمريكا مع الدكتور عبد القادر طاش وشاهدنا اصطفااف الناس بانتظام مع حسن الترتيب والنظام في الأخذ والعطاء التفت إليّ وقال: (الحضارة ترقق الطباع)، فلماذا لا نلمح هذا الجانب؟ ولماذا لا نتذكر قسوة كثير منّا وأدلة هذه القسوة موجودة؟ فمنها آثار الكدمات واللطمات في جباه بعضنا من آثار التضارب والتقاتل فيما بيننا، ومنها

كثرة الصدمات في السيارات نتيجة للعنف الاجتماعي، وهل
ننكر أن الكثير منا يحمل عصاً وهراوة في سيارته لوقت
الطلب والمنازلة؟

٦- أنا لا أنكر أن فرنسا احتلت الجزائر، ولا أنها أيّدت إسرائيل،
ولكنني لا أنكر ما وصلوا إليه من رقي مادي وتفنن في
أساليب الحياة كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾، أليس في حياتهم الدنيا التداول
السلمي للسلطة بلا قتل ولا انقلاب ولا غدر ولا خيانة؟
أليس في حياتهم الدنيا الطب الراقى والصناعة الناجحة
والتتظيم والترتيب مع جودة البناء وسرعة القطارات وإتقان
الطائرات ونحوها من الأمثلة؟



النفاق الاجتماعي

أصبح لكل رمز ديني أو سياسي أو وطني بطانة يمارسون معه لعبة التضليل والتملق والتزلف والمديح المزيف، فشيخ العلم لديه أتباع من المحبين والمعجبين يخلعون عليه صفات الكمال ويوهمونه بأنه بركة العصر، ووحيد الدهر وشبيه البحر، وأن الله نفع بعلمه العباد والبلاد وأن كتبه وفتاويه ودروسه شرقت وغربت، فيصدق المسكين ويقع في الفخ ويصاب بداء العجب والته، والسياسي عنده بطانة تقتات بكلمات الإطراء ومقامات الثناء الممجوج، وتوهمه بأنه الملهم وقلب الأمة النابض ومحبوب الجماهير، وتذكر له أحلاماً منامية كاذبة تدل على صلاحه وعدله وإيمانه واستقامته، وتخبره هذه البطانة أن العجائز في البيوت يدعون له وأن الشيوخ والأطفال يعيشون على حبه، وأن عدله وصل الجميع وبره وجوده عمّ الكل، (فيتوهق) و (يتورط) في دهاليز العلو في الأرض والتكبر على عباد الله والتجبر على الأمة، والأعيان من العسكريين والتجار والمشاهير لهم جلاس وسمار يمارسون معهم لعبة الضحك على الذقون وتمويه الحقائق، ويعطونهم صورة خاطئة عن الواقع ليكسبوا الخطوة لديهم وينالوا شرف صحبتهم ويبتزوا أموالهم، فإذا غابوا عنهم

سلقوهم بألسنة حِدادٍ شداد، فإذا أتيتَ تريد المكالشفة والصدق والوضوح والشفافية ضاع صوتك بين الأصوات وصرت ثقيلًا وأصبحت نشارًا، فتضطر رغم أنفك للمشاركة في حفل تأبين الضمير وفي جنازة موت الحقيقة، وهذا يدلُّك على الغنائية التي وصلت إليها الأمة، أما كان الأعرابي يحاور عمر ويناقشه وهو على المنبر؟ أما طلب عمر من الناس تيسير المهر وعدم المغالاة في الصداق؟ فقامت امرأة من آخر المسجد فقالت لعمر: يا عمر كيف تريد تقليل المهر والله تعالى يقول: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾؟ فصاح عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

نحن لا نطلب من الناس سوء الأدب مع الرموز الدينية والسياسية والوطنية وسائر الناس ولا التجريح ولا التشهير، ولكن نطالب الجميع بالكف عن هذا النفاق الاجتماعي وحجب الحقائق وإدخال هذه الرموز في نفق مظلم من الوهم، يقول الحسن البصري: «تولَّى الحجاج العراق وهو عاقل كيّس فما زال الناس يمدحونه حتى صار أحقق طائشاً سفيهاً»، فلما ضعف الوازع الديني عند الأمة وقلَّ الصدق أكثرت من ألقاب المديح وصفات التزلف بعدما كان الصحابة في عصر الخيرية والقيادة والريادة ينادي بعضهم بعضاً، فيقولون: يا أبا بكر، يا عمر، يا عثمان، يا علي، وهم قد فتحوا القلوب والأسماع والأبصار

والبلدان بالإيمان والعدل والسلام، ولكن الرئيس العربي ركب على صدره النياشين وعلى أكتافه النجوم وفي الشوارع أقواس النصر وهو لم ينتصر في معركة واحدة بل إن أجزاء من بلاده تحتلها إسرائيل.

إن تمويه الحقائق على الرموز وصنّاع القرار والمؤثرين معناه ضياع البلاد والعباد، فهؤلاء المتملقون والمتزلفون من البطانة همهم أنفسهم، وهم الذين يحملون شعار (كل شيء على ما يرام) فتجد الشيخ مثلاً عنده أخطاء كبرى ومغالطات عظمى لكن بطانته يصوّبون قوله وفعله حتى يوصلوه إلى درجة العصمة، فيبقى على خطئه ويستمر على أوهامه، والسياسي تُحجب عنه حقائق الوطن والناس تحت مظلة (الناس مرتاحون ويدعون لكم وهم في أرغد عيش وأحسن حال) فيُعطل اهتمام الوالي بأحوال الناس وحاجتهم، وتتحدر البلاد في التّخلف والفقر؛ لأن هذه العصابة قد ضمنت مصالحها واطمأنت لمستقبلها ولا يعينها حال أحد من البشر.

فينبغي أن تُخلع الأقنعة السوداء عن وجوه هذه البطانة التي تحف بالوالي والعالم والوجيه والرمز؛ ليرى الأمور كما هي وتتضح له الأشياء على حقيقتها، ويتخذ القرار المناسب والقول المناسب والرأي المناسب في الوقت المناسب، وبإمكانك أن تسأل

كل بطانة متفّذة نفعية عن الرمز الذي تحف به فسوف تسمع
من التقديس والغلو والإطراء ما تنفر منه الأسماع، وتشمئز منه
الطباع، ويورث الرأس الصداع.

